

الحكمة البادية

في الأحداث الجارية
بمحاورة هادية

جمال بن محمد الباشا



www.alamthqafa.com

2012م - 1433هـ

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية

(2011/5/1941)

الباشا ، جمال بن محمد

اسم الكتاب : الحكمة البادية في الأحداث الجارية بمحاورة هادية

تأليف : جمال بن محمد الباشا

الناشر : دار عالم الثقافة للنشر والتوزيع

الواصفات : الثقافة الإسلامية

لا يعبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى
تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

حقوق الطبع والنشر محفوظة لدى : المؤلف

دار عالم الثقافة للنشر والتوزيع



عمان - الأردن - العبدلي

هاتف 00962-6-4613465

جوال 00962-78-5553285

فاكس 00962-6-5689113

ص.ب 927426-عمان 11190 الأردن

www.alamthqafa.com

info@alamthqafa.com

All right reserved. No part of this book may be reproduced, transmitted or stored in or released an audio or electronically in any Form or by any means without prior permission in writing of the publisher

جميع الحقوق محفوظة : لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب
أو أي جزء منه أو نقله أو تخزينه أو إصداره صوتياً أو إلكترونياً
بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي مسبق من الناشر.

الحكمة البادية

في الأحداث الجارية
بمحاورة هادية

تأليف

جمال بن محمد الباشا



[الكلمة الواحدة يقولها اثنان، يريدُ منها أحدهما أعظمَ
الباطل، ويريدُ بها الآخرَ محضَ الحقِّ، والاعتبار بطريقتي
القائل وسيرته ومذهبه وما يدعو إليه وينظرُ عليه!!]
الإمام ابن القيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله العليم الحكيم، ذي الحكمة البالغة، والنعمة السابعة، الذي يؤتي الحكمة من يشاء، ويهدي إلى صراطه المستقيم من يشاء، ويرزق بغير حساب من يشاء، ويعز من يشاء ويذل من يشاء، إن ربي لطيف لما يشاء.

وأصلي وأسلم على الهادي البشير، والسراج المنير، سيد الحكماء، وإمام العقلاء، العدل والإنصاف منهجه، والحكمة والوسطية مسلكه، محبة المؤمنين وموالاتهم ونصرتهم أوثق عرى ملته، وجهاد الأعداء والبراءة منهم ذروة سنام دينه.

وأترضى عن صحبه الكرام، وهم من بعده خير الأنام، وصفهم الله بقوله:

﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح]

أما بعد:

فمن خلال درسي الأسبوعي في مادة " تزكية النفس " تعرضت لصفة (الحكمة) كواحدة من الصفات الحميدة والأخلاق الرشيدة، التي امتدح الله تعالى أهلها بقوله :

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا

كَثِيرًا ۗ﴾ (البقرة)

وقد بيّنت في الجزء الأول أنّ الحكمة وصف قد يدّعيه ويظنّه في نفسه كلُّ أحدٍ، كما هو الحال مع مصطلح "الإصلاح" و"الرشاد" و"إرادة الخير" التي ادّعاها حتى أعظمُ المفسدين في الأرض وهو فرعون، حينما قال لقومه:

﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ (غافر)

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ ۚ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ

أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ (غافر)

وقد ادّعى المنافقون أنّهم مُصلحون في الأرض، قال تعالى:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ (البقرة)

﴿هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (البقرة)

والحكمة واحدة من تلك الصفات التي صار فيها الناس إلى طرفين ووسط، والحق دائماً بين الإفراط والتفريط، بين الغلو والجفاء، فـ "الحكمة": ملكة تمكن صاحبها من وضع الشيء في موضعه المناسب من غير زيادة أو نقصان.

والزيادة في ميزان الحكمة كالنقصان !!

فالفريق الأول من المجانبين للحكمة لم يضع الأمور في نصابها، لأنه جَنَحَ إلى الانفعال والحماسة غير المنضبطين، ولم ينظر إلى عواقب الأمور ومآلات الأفعال، ويعوزُه العلم والخبرة، ويستعجل الثمرات قبل نضجها، وهذا الفريق قد يفسد أكثر مما يصلح، وقد يسيء أكثر مما يحسن، ولا يشفع له حسن قصده وصلاح نيته.

والفريق المتطرف في الاتجاه المعاكس للفريق الأول قد جانب الحكمة كذلك، عندما اعتقد أنها اتخذت المواقف السلبية من الأحداث الجارية مطلقاً، وأنها المهادنة والمداهنة للباطل والظلم مطلقاً، ولزوم الصمت عن قول الحق مطلقاً، ولزوم الإحجام وترك الإقدام في إنكار المنكر مطلقاً، وفساد هذا الفريق وإساءته للدين لا تقل عن الفريق الأول، ولا يشفع لهم أنهم يحاولون التجديف بالدعوة السلفية إلى بر الأمان !!

فهذه المنهجية تسير بالمنهج نحو الغرق والتلاشي والسقوط من أعين حتى القريين والمتعاطفين مع المنهج، وهذا الحاصل يوماً بعد يوم.

لقد أردت في درسي أن أوجه رسالة مزدوجة لكل فريق ليدلف إلى الوسط من غير إفراط أو تفريط.

وكانت رسالتي الأولى إلى الفريق الأول، وقد استغرقت وقتَ الدرسِ كاملاً، انتقدتُ فيها تسرعَ بعضِ الشبابِ المريدِينَ الخيرَ والإصلاحَ، واستخدامَهم للعنفِ والشدةِ في غيرِ موضعِها، وقبلَ ذلكَ مجازفةَ فريقٍ منهم (وهؤلاءِ نسبتهم قليلةٌ لا تكادُ تُذكرُ) في تكفيرِ المسلمين واستحلالِ دمائهم وأموالهم بغيرِ حقٍّ، وأنهم بذلكِ قد جرّوا على أنفسهم وعلى غيرهم مفايدَ عظيمةً لم يحسبوا حسابها فأساءوا أكثرَ مما أحسنوا وأفسدوا أكثرَ مما أصلحوا، وهم يحسبونَ أنهم يُحسنونَ صنْعاً.

وَوَعَدْتُ إِخْوَانِي أَنْ تَكُونَ رِسَالَتُنَا إِلَى الْفَرِيقِ الْآخِرِ فِي الْلِقَاءِ الْقَادِمِ بَعْدَ أُسْبُوعٍ.

وقبلَ مَوْعِدِ الدرسِ بِنَحْوِ سَاعَتَيْنِ وَقَعْتُ فِي يَدِي رِسَالَةً لِأَحَدِ إِخْوَانِنَا مِنْ طُلَّابِ الْعِلْمِ الْمَعْرُوفِينَ تَتَكَلَّمُ عَنِ الْأَحْدَاثِ الْجَارِيَةِ، وَهِيَ بِعَنْوَانِ "الدَّعْوَةُ السَّلَفِيَّةُ الْهَادِيَّةُ وَمَوْقِفُهَا مِنَ الْفِتَنِ الْعَصْرِيَّةِ الْجَارِيَةِ"، فَقَرَأْتُهَا بِتَجَرُّدٍ وَتَأَنٍّ، وَوَجَدْتُ نَفْسِي مُضْطَرّاً لِأَنْ أَسْأَلَ قَلَمِي مِنْ غَمْدِهِ، وَأُعَلِّقَ فِي الْمَسَاحَاتِ الْبَيضاءِ مِنَ الصَّفَحَاتِ عَلَى مَا بَدَأَ لِي أَنَّ الْكَاتِبَ قَدْ جَانَبَ الصَّوَابَ فِيهِ، وَلَمَّا أَنْهَيْتُ تَعْلِيْقَاتِي تِلْكَ أُذِنَ لَصَلَاةِ الْمَغْرِبِ الَّتِي يَلِيهَا دَرْسِي الْأُسْبُوعِيُّ، فَوَجَدْتُ أَنَّ تِلْكَ الرِّسَالَةَ هِيَ خَيْرٌ مَا يُمَكِّنُ أَنْ يُمَثَّلَ مَنَهَجَ الطَّرَفِ الْآخِرِ الَّذِي كُنْتُ أُرِيدُ أَنْ أَتَحَدَّثَ عَنْهُ، وَهُوَ الَّذِي يُمَثَّلُ الْمُبَالَغَةُ فِي اسْتِخْدَامِ مَا يَظُنُّهُ فِي نَفْسِهِ حِكْمَةً وَعَقْلَانِيَّةً، وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، وَقَدْ قُمْتُ بِعَرَضٍ مُجْمَلٍ ثُمَّ مَفْصِلٍ لِلرِّسَالَةِ،

وبتعلیق على بعض ما تيسر لي من فقراتها، حتى انقضت ساعة الدرس ولم نتناول سوى جزء منها .

ولكي تتم الفائدة، اقترح علي بعض الاخوة عقد مجلس في اليوم التالي لإتمام قراءة التعليقات على الرسالة المذكورة، وقد فعلنا ذلك في مجلس مطول، وحينئذ نشأت فكرة تفرغ هذين المجلسين في ورقات رغبة في نشرها وانتفاع الآخرين بها مقروءة كما هي مسموعة، فانشرح صدري لذلك وبدأ العمل، فخرجت تلك الورقات التي عنونتها ب (الحكمة البادية في الأحداث الجارية بمحاور هادية) .

وأود أن أمهد بين يدي هذه الأوراق بالأمور التالية:

1. لم يكن الباعث لي على الرد هو الرغبة في ذات الرد، وإنما جاء الرد كما ذكرت عفويًا وارتجاليًا من غير استعداد، وليس من منهجي الانشغال بالردود على المخالفين في كل مناسبة، بل منهجي الذي ألتزمه - ما استطعت - وأدعو إليه دائماً ويعرفه المقربون مني جيداً، أن كل من كان لديه وجهة نظر من طلاب العلم فليطرحها على الوجه الذي يراه حقاً وصواباً وفق المنهجية العلمية في البحث والاستدلال دون أن يشغل نفسه بما يقوله المخالفون، أو ينصب نفسه خصماً لهم، والمتلقي قارئاً أم مستمعاً يختار في النهاية ما يترجح لديه، ويتبع صاحب الحجة الأقوى والأظهر، ولا ينبغي أن ينزعج كثيراً من المخالفة، حيث لن يُعَدَم أحدٌ كائناً من كان من مخالفة في مذهبه، والاختلاف سنة اجتماعية قدرية

ماضية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، إلا أن هذه الرسالة التي حاورنا صاحبها قد طُبعت بكميات كبيرة، كما يبدو، وانتشرت انتشاراً سريعاً في كل مكان، وصار العامة يستدلون بما فيها ويشهرونها في وجوه المخالفين، فكان من المصلحة اتباع الأسلوب المباشر في الرد دون التعريض، وبالتصريح دون التلميح.

2. ليس بيني وبين مؤلف تلك الرسالة أية مشكلة شخصية أو خلاف خاص دفعني لتتبع أخطائه أو على الأقل ما أظن أنني أخالفه فيه، ولو كان الأمر كذلك لفعلت ذلك سابقاً، فالاختلاف معه قائم في عدة مسائل منذ زمن.

وكنْتُ وما زلتُ أدعو إلى إنصاف الناس عامة وأهل العلم وطلابه خاصة، وعدم بخسهم حقوقهم، ولا سيما من كان بيننا وبينهم قدر مشترك أكبر في قضايا التوحيد والسنة، ومحاربة الخرافة والبدعة ونحو ذلك.

ولا نتهم نواياهم، ولا نحكم على ما في قلوبهم، بل نحسن الظن بهم، ونحمل أقوالهم على أحسن محمل ما أمكننا ذلك، وفي الوقت نفسه؛ فإن الحق أحب إلينا منهم، ومصلحة الصدع به مقدمة على مصلحة مداراتهم وغضب الطرف عنهم، خصوصاً وأن هناك غلواً ظاهراً وجلياً من طلبتهم وأتباعهم فيهم، فلا تجد منهم إلا هز الرؤوس معلنة الموافقة في كل ما دق وجل، وعلى طول الخط، وهذا في نظري يقدح في منهجية التربية الصحيحة التي يتعلم فيها الطالب أن يخالف شيخه ويحاوره ويرد عليه - إن كان أهلاً لذلك - بكل أدب

وتواضع، ومن غير اغترار أو عجب بالنفس أو طلب للترفع والرياء ولفتن النظر، وذلك أأرى أن يدفع الذلة عن التابع والفتنة عن المتبوع.

وقد كان كبار الأئمة الأعلام وهم مؤسسون لمذاهب فقهية، ومدارس أصولية، يختلف معهم فيها أقرب المقررين منهم، من محبيهم وتلاميذهم، ولا يقدح هذا مطلقاً في الإمام، ويظهر ذلك جلياً في المذاهب الأربعة عموماً، وفي مذهب السادة الحنفية خصوصاً.

3. إن المسائل المذكورة في الرسالة هي حديث الساعة، ورتب على تحقيقها ومناقشتها مواقف جماهير المسلمين، والأحداث ما تزال جارية فلا يحتمل الحال تجاهلاً أو حتى تأخيراً وتأجيلاً.

وتلك المحاورات والمطارحات العلمية تساهم في تشكيل الرأي العام ونشر الوعي والنضج العلمي والفكري والمنهجي الذي يحتاج إليه الناس، والذي نسعى دائماً ليكون وسطاً لا متطرفاً، حكماً لا سقيماً، محققاً لا مبطلاً.

والله من وراء القصد، وهو الهادي إلى سواء السبيل.

4. بعدما قام إخواني الفضلاء بتفريغ التسجيل الصوتي مكتوباً على الأوراق قمت بتدقيقه ولم أشأ أن أتصرف فيه إلا يسيراً، ليقى على عفويته وانسيابيته، فلأراع القارئ الكريم ذلك، فإن الإلقاء الارتجالي غير المكتوب

والمُعَدِّ سَلَفًا، يَخْتَلِفُ بَعْضُ الشَّيْءِ عَنِ الْكِتَابَةِ الْمُنْهَجِيَّةِ الْمَتَأَنِّيَةِ فِي الْأَسْلُوبِ وَتَنْسِيقِ الْأَفْكَارِ وَتَدْرُجِهَا وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ.

5. أَتَمَّنِي عَلَى كُلِّ مَنْ يَقْرَأُ هَذِهِ الْوَرَقَاتِ أَنْ يَقْرَأَ بِتَجَرُّدٍ وَصِدْقٍ وَطَلَبٍ لِلْحَقِّ، وَأَنْ يَتَعَدَّ عَنِ الْأَحْكَامِ الْمُسَبَّقَةِ الَّتِي تُشَوِّشُ عَلَى الْقَلْبِ وَالْعَقْلِ مَعًا، وَلِيَكُنْ شِعَارُ الْقَارِئِ هُنَا وَفِي أَيِّ مَوْضِعٍ آخَرَ (رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا) وَأَنْصَحُ بِمُلَازِمَةِ الدُّعَاءِ الْمَأْثُورِ ..

(اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتَلَفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، فَإِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ).¹

المؤلف

تمهيد

كلُّ عاقلٍ يتمنى أن يكونَ حكيماً، وقد ادعى الحكمة حتى من لا خلاق له كالفلأسة، فالفلأسة معناها الحكمة، والفيلسوف هو الحكيم، وهذا الوصف كثيرٌ عند الهنود والصينيين واليونانيين.

والحقُّ أن لا حكمة بلا إيمان، ولا عقلانية بدون توحيد واستقامة.

فما هي الحكمة؟

الحكمة لغةً: مصدرٌ قولهم حَكَمَ أي صارَ حكيماً، وهو مأخوذٌ من مادةٍ (ح ك م) التي تدلُّ على المنع أو المنع للإصلاح، ومن هذا الأصلِ أخذَ أيضاً الحُكْمُ في معنى المنع من الظلم، وحَكَمَةُ اللِّجامِ لأنها تمنع الدابة عما لا يريدُ صاحبُها، والحكمة لأنها تمنع من الجهل.¹

الحكمة اصطلاحاً: ملكةٌ علميةٌ مسلكيةٌ تُمكنُ صاحبها من تقدير الأمور بما تستحقُّ، ووضعها في نصابها من غير زيادة أو نقصان.²

فالحكيمُ لديه القدرةُ على تقديرِ المصالحِ والمفاسدِ، وما ينبغي فعله مما لا ينبغي فعله، ولديه القدرةُ على تقديرِ عواقبِ الأمورِ وتوقعِ مآلاتها من مُقدّماتها

1 معجم مقاييس اللغة (2/ 91) والراغب في مفرداته (126)

2 أخذته من عدة تعريفات متفرقة، اجتهدت أن يكون جامعاً مانعاً.

وأسبابها، وقد اكتسب تلك القدرة بالعلم والخبرة والتجربة حتى صارت لديه ملكة وهيئة راسخة في نفسه.

والحكيم مُعتدل ومتوازن في أقواله وأفعاله وأحكامه، بين الإفراط والتفريط، فيتكلم عندما تترجح لديه المصلحة في الكلام، ويصمت عندما تترجح لديه المصلحة في الصمت، ويُقدم عندما تكون المصلحة في الأقدام، ويُجزم عندما تكون المصلحة في الإحجام، فمن لم تكن لديه القدرة على المرونة والتعامل مع الوقائع بما تقدم فلا يتصور منه الحكمة البتة، فلا عقلانية في التزام الصمت مطلقاً، أو الإحجام مطلقاً، أو ضد ذلك مطلقاً، لأن الوقائع والأحوال والظروف متغيرة، والمواقف الحكيمة تتغير بتغير الزمان والمكان والحال،¹ وقد اتفق العلماء والفقهاء على "أنه لا ينكر تغير الفتوى بتغير الزمان والمكان والحال"

عصر انقلاب الموازين

نحن نعيش اليوم في زمانٍ انقلبت فيه الموازين واختلطت فيه المفاهيم وأماننا زكاً هائلاً من المصطلحات التي تُفسر تفسيرات خاطئة، وتعمم لها مفاهيم مغرصة، وعلى المصلحين أن يتصدوا لهذا التزييف في المفاهيم والمصطلحات ومنها مفهوم الحكمة.

1 في القضايا الاجتهادية دون التوقيفية، وبعيداً عن الثوابت والمحكمات.

إنَّ أَكْثَرَ الأَخْطَاءِ الَّتِي نَرَاهَا الْيَوْمَ أَمَامَ أَعْيُنِنَا فِي الْمِيَادِينِ الْمُخْتَلَفَةِ، الْعِلْمِيَّةِ
مِنْهَا وَالِدَعْوِيَّةِ لَيْسَ سَبَبُهَا الْأَكْبَرُ سُوءُ الْقَصْدِ وَفَسَادُ النِّيَّةِ، وَهُوَ مَوْجُودٌ لَا يُنْكَرُ،
إِلَّا أَنَّ الْأَغْلَبَ فِي نَظَرِي هُوَ غِيَابُ صِفَتَي الْحِكْمَةِ وَالْعَدْلِ.

فضل الحكمة

قال الله تعالى:

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا

كَثِيرًا ۗ﴾

[البقرة]

فالذي يؤتي الحكمة هو الله تعالى، ويُستفاد من هذا المعنى:

- أَنَّ مِنْ طُرُقِ اكْتِسَابِ الْحِكْمَةِ وَتَحْصِيلِهَا أَنْ تُسْأَلَ مَنْ يَمْلِكُهَا وَيَهْبِئُهَا مَنْ يَشَاءُ، مِنْ خِلَالِ الدَّعَاءِ الْمُبَاشَرِ، وَمِنْ خِلَالِ تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى وَطَاعَتِهِ، فَإِنَّهُ لَا يُنَالُ مَا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى بِمِثْلِ تَقْوَاهُ وَطَاعَتِهِ، وَقَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ:

﴿يَتْلُوهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ۚ إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا ۝﴾

[الأنفال]

وهذا الفرقان هو نورٌ في البصيرة، وهي الملكة التي تُمكنُ العبدَ من رؤية الأشياء على حقيقتها، فلا يلتبس لديه الحقُّ بالباطل، ولا يختلط لديه الصالحُ بالفساد، فهو يرى بنورِ الله تعالى بسببِ تقواه، وهذه البصيرة من مُقَدِّماتِ الحكمة وأسبابها.

- إِنَّ حِظَّ الْحَكِيمِ مِنَ الْخَيْرِ وَالصَّوَابِ كَبِيرٌ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ:

﴿فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ﴾

[البقرة]

ويدل بمفهوم المخالفة على أن من لم يتحل بالحكمة فإن حظه من الخير والتوفيق وسداد الرأي قليل.

وقال تعالى:

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [لقمان]

إن اتصاف لقمان بالحكمة هو الذي رفع شأنه وأعلى ذكره في القرآن الكريم، فلم يكن لقمان نبياً أو رسولاً، بل كان عبداً فقيراً، ولكن الله تعالى آتاه الحكمة، فالحكمة ترفع شأن أصحابها وتعلي ذكرهم.

قال وهب بن منبه لابنه: "يا بني عليك بالحكمة فإن الخير كله في الحكمة، فإنها تُشرف الصغير على الكبير، والعبء على الحر، وتزيد السيد سوءداً، وتجلس الفقير مجالس الملوك".¹

وقال الله تعالى:

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل]

لم يقل بالحكمة الحسنة، لأن الحكمة كلها حسنة وليس منها سيئة.

إِنَّ مَنْ أَحَقَّ مَنْ يَجِبُ أَنْ يَتَّصِفَ بِالْحِكْمَةِ هُمُ الْعُلَمَاءُ وَالِدُعَاةُ الْمُصْلِحُونَ،
الَّذِينَ يُعَرِّفُونَ الْعِبَادَ بِرَبِّهِمْ وَيُعَلِّمُونَهُمْ دِينَهُ وَشَرْعَهُ.

فالداعية الحكيم لديه فقه للأولويات، فيعلم ماذا يُقدِّم وماذا يُؤخِّرُ،
ويَتعرَّفُ على أحوالِ وأصنافِ المدعوين ليختارَ لكلِّ منهم ما يُناسبُه من أساليبِ
الخطابِ.

فلو قَدَّمَ ما حَقُّهُ التأخيرُ، أو أَخَّرَ ما حَقُّهُ التقديمُ، أو أخطأ في اختيارِ
الأسلوبِ المناسبِ، فَإِنَّهُ قَدْ يَتَحَوَّلُ مِنْ دَاعٍ إِلَى سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى إِلَى دَاعٍ فِي سَبِيلِ
الْفِتْنَةِ وَالْفَسَادِ، وَإِنْ حَسُنَ قَصْدُهُ وَصَلَحَتْ نِيَّتُهُ، وَقَدْ يُنْفِرُ النَّاسَ وَيُعِدُّهُمْ وَهُوَ
يُرِيدُ أَنْ يُجَبِّهَهُمْ وَيُقَرِّبَهُمْ.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مبيِّناً فضلها:

((لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ، رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكْتِهِ فِي الْحَقِّ،
وَأَخْرَأَتْهُ اللَّهُ حِكْمَةً فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا))¹.

إِنَّ مَا يَسْتَحِقُّ الْإِنْسَانُ أَنْ يُغْبَطَ عَلَيْهِ هُوَ اتِّصَافُهُ بِالْحِكْمَةِ، عِنْدَمَا يَعْمَلُ
بِهَا وَيُعَلِّمُهَا لِلنَّاسِ.

وعن عبد الله بن عباسٍ رضي الله عنه، قال:

((ضَمَّنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ: اللَّهُمَّ عَلِّمْنِي الْحِكْمَةَ))¹.

وقد وردت الحكمة في القرآن بمعنى السُّنَّة، قال تعالى:

﴿وَأَذْكُرْتَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾

[الأحزاب]

ووردت بمعنى النبوة في قوله تعالى:

﴿وَأَتَيْنَهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ﴾

[ص]

وبعد هذه المقدمات هذا أو أن الشروع في التفصيل.

لقد ذكرنا قبل قليل أن الحكمة من المفاهيم التي تحتاج إلى تصحيح

وتوضيح، لماذا؟

لأنها يدَّعيها كُلُّ أَحَدٍ، الْمُفْرِطُ وَالْمُقَرِّطُ، وَالْغَالِي وَالْجَافِي، فَالنَّاسُ عِنْدَهَا طَرَفَانِ وَوَسْطٌ، فَمَنْ قَصُرَتْ لَدَيْهِ اتَّصَفَ بِالِاسْتِعْجَالِ وَالْإِنْدِفَاعِ وَالْإِنْفَعَالِيَّةِ، وَتَدَفَّعُهُ حِمَاسَتُهُ وَعَاطِفَتُهُ الْجَيَّاشَةُ - الْمَشْرُوعَةُ بِالْأَصْلِ - إِلَى مَسَالِكِ مُزْرِيةٍ وَعَوَاقِبَ وَخِيمةٍ لَمْ يَدْرُسْهَا وَيَحْسِبْ حِسَابَهَا، وَقَدْ يَدَّعِي مَنْ هُوَ كَذَلِكَ بِأَنَّهُ حَكِيمٌ.

1 رواه البخاري - الفتح 13 (7270) وفيه (الكتاب) بدل (الحكمة) وأخرجه الترمذي، وقال: حسن

وفي المقابل هناك فريق بالغ في تصوُّره عن الحكمة، بأنها التأني وعدم العجلة، والحلم وترك الغضب، وأنَّ الحكيم يطيل الصمت، ويدع ما لا يعنيه، فنتج عن هذا الفهم تأتي إلى حدِّ فوات الفرص، وترك الغضب حتى فيما يجب فيه الغضب كانتهاك حُرُمات المسلمين والاعتداء على مُقدَّساتهم ورموزهم وهتك أعراضهم!!

وبالغ في الصمت حتى ترك إنكار المنكر باللسان مع القدرة عليه، وبالغ في ترك ما لا يعنيه حتى دخل في ترك ما يعنيه، وقابل المبالغة في الإقدام - التهور - بالمبالغة في الإحجام - الجبن والخذلان بل والتخذيل - حتى صار مفهوم الحكمة لدى بعضهم يساوي السلبية، بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معنى! وأشدُّها خطراً الإخلال بأوثق عرى الإسلام وأرسخ عقائد الإيمان، وهي الولاء والبراء في الله تعالى ودينه!

إنَّ أعجب تعريفات (الحكمة) إليّ، من خلال ما وقفت عليه مما ذكره العلماء هو، تعريف الإمام ابن القيم - رحمه الله - حيث قال:

[هي فعل ما ينبغي على الوجه الذي ينبغي في الوقت الذي ينبغي]

فهو تعريفٌ بديعٌ جامعٌ .

فإن الذي يفعل ما لا ينبغي لا يوصف بأنه حكيم في فعله بحال من الأحوال، ذلكم أن الحكمة تعني وضع الأمور في نصابها، وهذا إنما يكون بفعل ما ينبغي لا بفعل ما لا ينبغي! ولنمثل لذلك بما يلي :

من رأى منكراً أمام عينيه، فإن الواجب الذي ينبغي عليه هو إنكار المنكر وإزالته بحسب الإمكان، فإن ترك الإنكار مع القدرة فإنه يكون قد فعل ما لا ينبغي.

وإذا كان قادراً على التغيير باليد فاكتمى بالتغيير باللسان أو القلب، فإنه لم يفعل ما ينبغي كما ينبغي، لأن الواجب في حقه التغيير والإنكار باليد، كمن رأى منكراً في ملكه وفي حدود مسؤوليته وفيمن هو تحت رعايته ولايته، ولا يترتب على إنكاره منكر أعظم من المنكر الأول، فلا يكون من ترك الإنكار والحالة هذه بحكيم !

ويمثل ذلك في الطرف الآخر من أنكر المنكر وأحل محله منكراً أعظم منه، وأنكر بيده ما حقه الإنكار بلسانه أو بقلبه، كمن يقدم على تخريب أماكن المنكر في ملك غيره أو في الملكية العامة، وليس هو ذا سلطان ولا ولاية، فيترتب على إزالتها من المفاسد والمنكرات أضعاف ما قام بإزالته، وقد يعاد بناؤه بأحسن مما كان عليه، وكأنه لم يصنع شيئاً.

إذن من فعل ما ينبغي ولكن بأسلوب لا ينبغي فقد جانب الحكمة.

ولذلك وضع العلماء قواعد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقدّموا نصائح وتوجيهات في ذلك، منها قولهم:

"ليكن أمرك بالمعروف بالمعروف، ونهيك عن المنكر غير منكّر"

وهذا يعني أنّ من الناس من يأمر بالمعروف بالمنكر، وينهي عن المنكر بالمنكر

وقوله: "في الوقت الذي ينبغي"

أي أنّ الحكماء يؤلّون عامل الوقت اعتباراً مهماً في تصرّفاتهم، وسيأتي معنا أمثلة وصور فيها بيان مراعاة النبي صلى الله عليه وسلم لقضية الوقت، وقد تقدّم معنا أنّ العلماء اتفقوا على قاعدة "تغيّر الفتوى بتغيّر الزمان والمكان والحال".

ويجدّر بنا أن ننبّه إلى أنّ الحديث هنا عن الفتوى وليس عن الحكم، فالأحكام الشرعية لا تتبدّل بهذه الاعتبارات، ثمّ إنّ الفتوى تتعلّق بالاجتهاد - فيما يسوغ فيه الاجتهاد - من المسائل الخلافية المعتبرة، والتي يُراعي فيها المفتي الحكيم، الزمان والمكان والحال.

ما ففعلق بالزمان :

فإن لكل زمان عرفة وفقالفده المؤثرة فف الففوف، ففف عصور الفقهاء المفقلمفن فف أن الففوف برء شهادة مفروفف المروءة ففناول فاسر الرأس والأكف فف الطرفق، ولو عملنا هذه الففوف فف زماننا، لا ففكاف ففف من ففلف للشفاهة، بل ربما ففف للفضاء، لأن الفضاة أنفسهم هم فاسرو الرؤوس، وفالقفو اللف، وبعضهم ففعاطف الفخان، فلم فعد فسر الرأس الفوم فاففا فف المروءة .

فروف عن الإمام أبف فففد القفروانف المالكف، أنه كان فففنف كلباً للفراسة فف فاره، فقفل له: كفف فففنف كلباً وأنف فعلم أن مالكا كان ففره ذلك ؟ ففال: "لو كان مالك فف زماننا لا ففخذ أسداً ضارباً".

ما ففعلق بالمكان :

العرف فففلف باففلاف الشعوب والبلفان، ففمن لم فراع ذلك الاففلاف ففف جانب الفكمة فقطا،

قال الإمام القرافي - رحمه الله - فف الفرق الثامن والعشرفن من ففابه (الفروق) فف فأكفد هذا الأصل:

[ففمها فففد من العرف افففره، ومفمها سقط أسقفه ولا ففمفد على المسطور فف الكفب طول عوفر، بل إذا فاءك فففل من ففر إقلفمك فسفففك لا فففره

على عُرْفِ بِلْدِكَ والمُقَرَّرِ فِي كُتُبِكَ، فهذا هو الحقُّ الواضِحُ، والجمودُ على المنقولاتِ أبداً ضلالٌ في الدين، وجَهْلٌ بمقاصِدِ علَماءِ المُسلمينَ والسَلَفِ الماضينَ [1].

وأما ما يتعلقُ بالحال:

أي مراعاةُ أحوالِ الناسِ وظروفِهم ومناسبةُ القولِ أو الفعلِ لذلك.

انقلُ لكم هنا حِكْمَةَ حَبْرِ الأُمَّةِ وَتُرْجَمَانِ القرآنِ، في توظيفِ المسائلِ الخلافيةِ في تغييرِ الفتوى بما يتلاءمُ مع حالِ المُستفتي، فقد [أَخْرَجَ عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ وَالتَّحَّاسُ عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبيدةَ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ كَانَ يَقُولُ: لِمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا تَوْبَةً. قَالَ: فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَسَأَلَهُ أَلِمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا تَوْبَةً؟ قَالَ: لَا، إِلَّا النَّارُ. فَلَمَّا قَامَ الرَّجُلُ قَالَ لَهُ جُلَسَاؤُهُ: مَا كُنْتَ هكَذَا تُفْتِنُنَا، كُنْتَ تُفْتِنُنَا أَنَّ لِمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا تَوْبَةً مَقْبُولَةً، فَمَا شَأْنُ هَذَا الْيَوْمِ؟ قَالَ: إِنِّي أَظُنُّهُ رَجُلٌ يَغْضَبُ يَرِيدُ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا، فَبَعَثُوا فِي أَثَرِهِ، فَوَجَدُوهُ كَذَلِكَ] [2].

وقد حَصَلَتْ لِشَيْخِ الإسلامِ ابنِ تَيْمِيَّةَ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - وَاقِعَةٌ مَشْهُورَةٌ، تُبَيِّنُ مَدَى حِكْمَةِ هَذَا الإِمَامِ فِي مِرَاعَاةِ النَّاسِ، وَأَثَرُ ذَلِكَ فِي الْمَصْلَحَةِ وَالْمُفْسَدَةِ، فَقَدْ مَرَّ بِطَائِفَةٍ مِنْ جُنْدِ التَّارِ فِي الطَّرِيقِ وَهُمْ سَكَارَى، فَاسْتَأْذَنَهُ مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ تَلَامِيذِهِ بِالْإِنْكَارِ عَلَيْهِمْ، فَأَبَى ذَلِكَ، وَقَالَ لَهُمْ، إِنَّ سُكْرَ هَؤُلَاءِ شَرٌّ عَلَيْهِمْ وَلَكِنَّهُ

1 الفروق (1/176-177)

2 (الدر المنثور في التفسير المأثور) للسيوطي (4/604)

أصلح للمسلمين، فإنهم إن أفاقوا سَفَكُوا الدماءَ وهتكوا الأعراسَ، واعتدوا على حُرُماتِ المسلمين!!

وقد فصل هذه المسألة وأصل لها في أكثر من موضعٍ في كتابه "الاستقامة" و "الحسنة والسيئة"

ونقل هنا للتمثيل ما ذكره في كتابه "الاستقامة، قال:

[فأما المؤمنون فالصحو خيرٌ لهم فإنَّ السُّكْرَ يَصُدُّهم عن ذكرِ الله وعن الصلاة، ويوقعُ بينهم العداوةَ والبغضاءَ وكذلك العقلُ خيرٌ لهم لأنَّه يزيدُهم إيماناً، وأما الكفارُ فزوالُ عقلِ الكافرِ خيرٌ له وللمسلمين، أما له؛ فلائنه لا يصدُّه عن ذكرِ الله وعن الصلاة بل يصدُّه عن الكفرِ والفسقِ ! وأما للمسلمين؛ فلائِنَّ السُّكْرَ يوقعُ بينهم العداوةَ والبغضاءَ فيكونُ ذلكُ خيراً للمؤمنين!

وليس هذا إباحةً للخمرِ والسُّكْرِ ولكنَّه دَفْعٌ لِشَرِّ الشَّرِّينِ بأذناهما، ولهذا كنتُ أمرُ أصحابنا أن لا يَمنعوا الخمرَ عن أعداءِ المسلمين من التَّارِ والكرجِ ونحوهم وأقولُ إذا شربوا لم يصدِّهم ذلك عن ذكرِ الله وعن الصلاة بل عن الكفرِ والفسادِ في الأرض، ثم إنَّه يوقعُ بينهم العداوةَ والبغضاءَ وذلك مصلحةٌ للمسلمين، فصحوهم شرٌّ من سُكْرِهِم فلا خيرَ في إعانتهم على الصحو بل قد يُستحبُّ أو يجبُ دَفْعُ شَرِّ هؤلاء بما يُمكنُ من سُكْرِ وغيره].¹

يا له من فقه غائب!

وأذكر هنا ما حصل قبل أيام قليلة، وقد أخبرني أحد إخواننا من الطلاب الحاضرين معنا الدرس الآن أنه دُعي إلى حفل زفاف وقد طلب منه الحاضرون أن يفتتح الحفل بتلاوة آيات من القرآن الكريم، فأجابهم إلى ذلك وجلس على المنصة ثم بدأ بتلاوة آخر سورة الواقعة:

﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ (٨٣) وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ نُنْظُرُونَ (٨٤)﴾ [الواقعة]

لا شك أن الذي قرأه قرآن نُجِّلُهُ ونُعْظِّمُهُ، ولكن، نقول لأخي: هل ضاقت بك سور القرآن وآياته أن تتلو منها ما يبث البشري والفرح والسرور الذي ينسجم مع تلك المناسبة؟!

فإن لكل مقام مقالاً، ولكل حدث حديثاً،

وهذا يذكرني بشيء قريب من ذلك، لعلّي قرأته في "أخبار الحمقى" أن القارئ قد قرأ عند عقد القران بين زوجين قوله تعالى:

﴿الطَّلُقُ مَرَّتَانٍ فَأَمَّا كُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِحُ بِإِحْسَنِ (٢٢٩)﴾ [البقرة]

والعقل نعمة!

صور من حكمة النبي صلى الله عليه وسلم

لا شك أن نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم هو سيد الحكماء، وإمام
العقلاء، والحكمة بادية في أقواله وأفعاله وأحكامه وجميع تصرفاته، كيف لا
وهو المعصوم من اتباع الهوى والمؤيد بوحى يوحى!
وقد أمرنا ربنا سبحانه بالتأخذ بأسوة حسنة، قال تعالى:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ

اللَّهُ كَثِيرًا ۝﴾

[الأحزاب]

وَتَتَجَلَّى حَقِيقَةُ حِكْمَتِهِ فِي عِدَّةٍ مَوَاقِفَ، منها:

أولاً:

لقد مكث نبينا عليه الصلاة والسلام في مكة ثلاث عشرة سنة يدعو إلى
التوحيد وينهى عن الشرك وعبادة الأصنام، ولم يهدم بيده طوال هذه الفترة صنماً
واحداً، مع أن الأصنام كانت في كل مكان حوله، وأمام عينيه، بل داخل الكعبة
وحولها، وفي الأسواق، ولم يأمر أصحابه بهدمها!!

وهاجر إلى المدينة ثم عاد إلى مكة فاتحاً بعد نحو ثماني سنوات، فقام حينئذ
بهدم الأصنام بيده، فلم لم يفعل ذلك طوال هذه المدة؟

إنَّها الحكمةُ التي تقتضي أن يكونَ الفعلُ في الوقتِ المناسبِ والحالِ المناسبِ بالأسلوبِ المناسبِ، فلو قامَ بهدمُ الأصنامِ في أوَّلِ دَعْوَتِهِ لما كانَ لهذا الفعلِ أيُّ أثرٍ إيجابيٍّ، ولأعادَ المشركونَ بناءَها أحسنَ مما كانت، لكنَّهُ لما كَسَرَ الأصنامَ في قلوبِ النَّاسِ، وَهَدَمَهَا بِإِبْطَالِ الاعتقادِ بِها سَهَّلَ عليهم أن يفعلوا ذلكَ بأيديهم، بل تقربوا إلى الله تعالى بفعلِ ذلكَ بأنفسِهِم، ولذلك لم تُعدَّ مرَّةً ثانيةً إلى الوجودِ.

فقضيةُ النَّبيِّ الأولى وَهْمُهُ الأكبرُ أن يربطَ قلوبَ العبادِ بِرَبِّ العبادِ، ويُرَكِّي النَّفْسَ بِمَحَبَّةِ الله وإِثَارِ مَراضِيهِ، وَحُسْنِ التَّوَكُّلِ عليه وَخَوْفِهِ وإِجلالِهِ، فأعظَمُ أسبابِ تَغْيِيرِ الواقعِ الظاهرِ هو تَغْيِيرُ ما في النَّفوسِ من الباطنِ، وهذا ما سَمَّاهُ بعضُ العلماءِ بفقهِ التَّغْيِيرِ، مأخوذاً من قوله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد]

فعلى الحكماء أن يدركوا وَهْمَ يَسْعَوْنَ في التَّغْيِيرِ، أن أصلَ التَّغْيِيرِ يَنشأُ مِنَ الدَّاخلِ ثُمَّ يَنعَكِسُ على الخارجِ وليسَ العكسُ.

ثانياً:

تروي أمُّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلَّم

قالَ لها:

(يا عائشة لولا أن قومك حديثو عهد بجاهلية لأمرت بالبيت فهدم، فأدخلت فيه ما أخرج منه وأزقته بالأرض وجعلت له باباً شرقياً وباباً غربياً، فبلغت به أساس إبراهيم)¹.

فالنظر في أحوال الناس وأخذها بعين الاعتبار عند التعامل معهم من فعل الحكماء، فلو لم يكونوا حدثاء عهد بجاهلية، ويخشى عليهم الردة واستنكار هذا الفعل - لعدم نصحهم الإيماني الذي يقتضي التسليم والرضا بما يفعله الرسول عليه الصلاة والسلام -، لقام بفعل الأولى شرعاً بإعادة بناء الكعبة على قواعد إبراهيم - عليه الصلاة والسلام -، فلما كانوا كذلك كان الأولى شرعاً ترك الأمر على حاله.

ثم انظر إلى حكمته عليه الصلاة والسلام من خلال النظر إلى مآلات الأفعال وعواقب الأمور، الظاهرة في الرواية.

ثالثاً: موقفه عليه الصلاة والسلام من المنافقين

لقد لقي منهم من الأذى ما لقي، ومنهم من آذاه في نفسه وفي عرضه، ووصفه بما لا يليق، وفي مقدمتهم رأس المنافقين، عبد الله بن أبي بن سلول، وهو الذي قال: "لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل" وبالرغم من ذلك، وهو يعلم أنهم منافقون - بالوحي وليس بالظنون -، لم يقتلهم وهم يستحقون

1 متفق عليه واللفظ للبخاري

ذلك شرعاً، فهم كفّارٌ في الحقيقة وقد تَوَاطَوا مَعَ الكفّارِ مراراً ضدَّ المسلمين،
كُلُّ ذَلِكَ خَشْيَةٌ أَنْ يَتَحَدَّثَ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ!!

وماذا لو تحدّث الناسُ بذلك؟

إنَّه الصّدُّ عن سَبِيلِ اللَّهِ وعن هِدَايَةِ النَّاسِ وامتِناعُ القِبَائِلِ عن الدخولِ في
الإسلامِ خَشْيَةٌ أَنْ تَتَعَرَّضَ لِلْقَتْلِ مِنْ قِبَلِ "مُحَمَّدٍ" عِنْدَ أَذْنَى مُخَالَفَةٍ!

فكانت المفسدةُ في الإبقاءِ على حياتِهِمْ، دونَ مَفْسَدَةِ تَنْفِيرِ النَّاسِ عن
الدُّخُولِ في الإسلامِ.

وهذه قَضِيَّةٌ مِنْ أَصُولِ الْحِكْمَةِ، وَهِيَ مُتَعَلِّقَةٌ بِفِقْهِ الْمَوَازِنَاتِ، أَيِ بَيْنِ
الْمَصَالِحِ وَالْمَفَاسِدِ، وَبَيْنِ الْمَصَالِحِ وَالْمَصَالِحِ، وَبَيْنِ الْمَفَاسِدِ وَالْمَفَاسِدِ.

فالقاعدةُ في المصالحِ والمفاسدِ تقولُ "دَرءُ الْمَفَاسِدِ أَوْلَى مِنْ جَلْبِ الْمَصَالِحِ"
وَأَمَّا الْقَاعِدَةُ فِي تَعَارُضِ الْمَصَالِحِ فَيَا بَيْنَهَا وَعَدَمُ إِمْكَانِ الْجَمْعِ، أَنَّ يَتَخَلَّى
عَنِ الْمَصْلَحَةِ الدُّنْيَا لِتَحْصِيلِ الْمَصْلَحَةِ الْعُلْيَا.

وَفِي تَعَارُضِ الْمَفَاسِدِ؛ تَحْمُلُ الْمَفْسَدَةُ الدُّنْيَا لِدَفْعِ الْمَفْسَدَةِ الْعُظْمَى.

وَقَدْ اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ الشَّرِيعَةَ جَاءَتْ لِتَحْقِيقِ الْمَصَالِحِ وَتَكْمِيلِهَا وَدَرْءِ
الْمَفَاسِدِ وَتَقْلِيلِهَا، وَقَرَّرُوا بِأَنَّ الْمَصْلَحَةَ حَيْثُمَا وَجَدَتْ فَتَمَّ شَرْعُ اللَّهِ تَعَالَى، وَحَيْثُمَا
وُجِدَ شَرْعُ اللَّهِ فَتَمَّ الْمَصْلَحَةُ.

وهذه مسائل وقواعد عظيمة لها تأصيلها وضوابطها وتطبيقاتها، وليس المجال هنا يسمح ببسطها وتفصيلها.

وقد ينفع التذكير في هذا المقام بما ذكره العلماء عن ضرورة الموازنة بين المصالح والمفاسد عند إرادة تغيير المنكر، فقد ذكروا ما يلي من الحالات والصور:

الحالة الأولى:

من غلب على ظنه عند الإنكار أن يزول المنكر ويحل محله معروف، ففي هذه الحالة يجب الإنكار، ويحرم السكوت.

الحالة الثانية:

أن يغلب على الظن زوال المنكر دون أن يحل محله معروف، وهذه الحالة كسابقته يجب فيها إنكار المنكر لتحقيق المصلحة.

الحالة الثالثة:

أن يغلب على الظن أن يزول المنكر ويحل محله منكر دونه، وفي هذه الحالة يجب الإنكار كذلك لتحقيق المصلحة ورجحانها.

الحالة الرابعة:

أن يغلب على ظنه أن يزول المنكر ويحل محله منكر مثله.

وهذه الحالة موضع خلاف بين العلماء، ومنهم من رجح الإنكار استحباباً لمصلحة إظهار شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأن لا تندثر في حياة الناس وإن لم يتغير شيء من المنكر.

الحالة الخامسة:

أن يغلب على ظن المنكر أن يزول المنكر ويحل محله منكر أعظم منه ففي هذه الحالة اتفق العلماء على أن النهي عن المنكر هنا محرم وفاعله آثم لأنه أزال فساداً وأحل مكانه فساداً أكبر، فلم يعد للمصلحة موضع، فليس ثم شرع الله تعالى، ولهذا أمثلة عديدة في الشريعة، منها:

قال تعالى:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكَفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ (٢١٧)

[البقرة]

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعَةٌ لِلنَّاسِ وَإِنَّهُمْمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ (٢١٩)

[البقرة]

ولابد لنا هنا أن نوجه رسالة لإخواننا الشباب الطيبين الصادقين، ونحن نعلم أن حبهم لدينهم وغيرتهم على حُرُمَاتِ الله هي التي جعلتهم غاضبين ومندفعين للتغيير بغير حدود، وأن لهم عاطفة جياشة نحو دينهم وأمتهم، نقول:

كم من مُريدٍ للخير لم يُصبه! فلا تعتقدوا أَنَّ حُسْنَ الْقَصْدِ وحدهُ سينجيكم من الإثم واستحقاق العقوبة الإلهية إذا أنتم لم تلتزموا بقواعد الشريعة وأحكامها التي قررها العلماء ودونوها في كتبهم وعلموها للناس وعملوا بها.

إنَّ العلماء الذين كتبوا وأصلوا في القواعد الشرعية (الفقهية والأصولية) قرروا أَنَّ القواعد المتفق عليها أقوى في دلالتها من ذات النص من حيث أَنَّ القاعدة مُستنبطة من جملة من النصوص دلت عليها، وأما النص المجرد فقد يكون من التشابه ويحتمل أوجهًا لا يعقلها إلا العالمون.

من تلك القواعد :

(الضرورات تُبيح المحظورات) و (المشقة تجلب التيسير) و (الأصل في الأشياء الحل) وغيرها، فكل قاعدة من هذه القواعد مُستندة عَشْرَات النصوص من القرآن والسنة.

فلا ينبغي لأحد أن يستهين بشأن القواعد ويقول "هذا ليس بنص مُنزّل!"
فهذا القول منه يدلُّ على قلة حظ من علم وفقه.

فأنا أنصح هذا الفريق بالإقبال على طلب العلم لدى العلماء العاملين، الربانيين، وأن يعنوا بجانب تزكية النفس وتهذيبها، وأن يتحللوا بالحلم وبعد النظر والرجوع إلى العلماء في كل أمر ذي بال، وقد رأينا كم جرّت الحماسة والانفعالات غير المنضبطة بضابط الشرع على أصحابها وعلى الأمة من مصائب

وَوَيْلَاتٍ، ماذا جَنُوا وماذا جَنَتْ الأُمَّةُ من إيقاعِ القَتْلِ والتفجيراتِ العشوائيةِ في ديارِ المُسلمينَ والتي سَقَطَ على أثرِها المِئاتُ من أهلِ المِلَّةِ، وهُم معصوموا الدِّم والمالِ.

وَكُنَّا يَعْلَمُ حَدِيثَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ))¹.

((لَا يَزَالُ الْعَبْدُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ مَا لَمْ يُصِْبْ دَمًا حَرَامًا))².

أنا لا أريدُ هُنا أَنْ أَسْتَطِرِدَ في بيانِ حُرْمَةِ دِمَاءِ المُسلمينَ وخُطُورَةِ قَتْلِ المؤمنينَ فليسَ هذا مَوْضِعَ بَسْطِهَا وكُلُّ مُسْلِمٍ يَعْلَمُ ذَلِكَ، وَلَكِنَّا نَنْظُرُ هُنا من زاويةٍ أُخرى وهي زاوية (تحقيق المصالح ودرء المفسدات) التي يَنْظُرُ بها الحكماءُ، فلو كانَ جائِزاً تلكَ العَمَلِياتُ التي وَقَعَتْ في الجزيرةِ العَرَبِيَّةِ وفَنادِقِ عَمَّانَ وَغَيرِها من بُلدانِ العالَمِ الإِسلامِيِّ بَلْ وَغَيرِ الإِسلامِيِّ، أَقُولُ لو كانتَ جائِزةً شَرْعاً، وَقَتْلُ هَؤُلَاءِ جَمِيعاً جائِزاً وَكُلُّهُمْ قُتِلُوا بِحَقٍّ واستِحْقاقي فهل كُلُّ ما هو جائِزٌ يَصَحُّ فَعْلُهُ؟!

لقد قَرَّرَ العلماءُ القاعدةَ التالِيةَ " ليسَ كُلُّ ما جازَ فَعْلُهُ شَرْعاً صَحَّ فَعْلُهُ شَرْعاً "

1 رواه النسائي (3987)

2 صحيح الجامع حديث رقم : 7691

وقد تقّدم معنا من سيرة نبينا عليه الصلاة والسلام، كيف أنّه ترك قتل المنافقين مع أنّ قتلهم جائز لكنه لم يصحّ شرعاً بسبب المفسدة المترتبة عليه.

كلّ متابع للشأن الإسلامي والدعويّ يدرك جيّداً كم كان سلبياً أثر تلك العمليات في الجزيرة العربية على الدعوة والعمل الإسلاميّ ككلّ!

لقد قتلوا بضع عشرات من المستأمنين الذين لا يجوز قتلهم ابتداءً، ومعهم أضعافهم من المسلمين، استحلّ هؤلاء الشباب قتلهم بالمعيرة!

فما الإنجاز الذي حقّقه؟ وما المصلحة التي قدّموها لدينهم؟!

كم اهتدى من الكفار إلى الإسلام بعد هذه العمليات؟!

كم كتيبة للغزاة انسحبت من قواعدها في ديار المسلمين؟!

أما المفسد فلا تكاد تُحصى..

لقد أعطى هؤلاء الشباب لطفة العالم الغربيّ الذريعة للتدخل في الشؤون الداخلية للمسلمين، والضغط على الحكومات وأجهزتها الأمنية بالعمل بقانون مكافحة الإرهاب!

وتشديد القبضة الأمنية على الإسلاميين عموماً ليَطال حتى المعتدلين

منهم!

واعتبرت الدعوة إلى الجهاد الشرعي وطرده المحتلين تحريضاً على الإرهاب!

وزج بعشرات الألوف في السجون والمعتقلات!

ومنع آلاف الخطباء من اعتلاء المنابر وتعليم الناس الخير!

وأغلقت العشرات من الجمعيات الخيرية، الإغاثية منها والدعوية، والتي كان لها أثر عظيم في نشر الدعوة الإسلامية في العالم كله!

ووجد هؤلاء الأعداء مبرراً للتدخل في مناهج التربية والتعليم وحذف كل ما لا يروق لهم، باعتباره يثبت الكراهية بين الأمم!

وغير ذلك من الضغوط المعلنه وغير المعلنه التي أرجعت الأمة إلى الوراء، ولو لم يكن من ذلك إلا تهيج الرأي العام على المجاهدين لكفى به سوءاً!

وهذه كلها نتائج حتمية متوقعة حذر منها العقلاء والحكماء في الأمة.

ويعلم كل إخواني وطلابي أنني كنت من المحذرين من سوء عاقبة هذه الانفعالات الطائشة التي لو لم تجر كل هذه المصائب فإنها لن تحقق أي شيء من المصالح.

والرزية كل الرزية، أن اللاحق لا يتعظ بالسابق!

وقد رأينا ما حَصَلَ في مَدِينَةِ الزَّرْقَاءِ قَبْلَ أُسْبُوعٍ مِنَ الْآنَ، أَيَّ يَوْمِ الْجُمُعَةِ
الْمَاضِيَةِ مِنْ اسْتِخْدَامِ الْعُنْفِ وَإِشْهَارِ السِّلَاحِ الْأَبْيَضِ فِي الْاِعْتِدَاءِ عَلَى بَعْضِ
رِجَالِ الْأَمْنِ وَمَنْ كَانَ مُوَالِيًا لَهُمْ مِنَ (البُلطُجِيَّةِ)!

وقد ساءنا ذلك ولا شك، ونحن لا نعتمد على الروايات الرسمية في الأحداث لأننا نعتقد أنها منحازة ومتحاملة على المتظاهرين لصالح الحكومة ورجال الأمن.

وأنا أريد أن آخذ برواية الأخوة المشاركين الحاضرين في تلك التظاهرات السلمية كما زعموا، وأقبل ما قالوه من أن التحرُّش والاستفزازَ كان من قِبَلِ جماعاتٍ (البَلطَجِيَّة) وإنما كان هجومُ الشبابِ عليهم رَدَّةً فعلٍ لتلك التحرُّشات والاستفزازات.

أقول لو سلّمنا بذلك تماماً ولا أقولُ جدلاً -فأنا أصدّقُ هذه الرواية-، فإنه كان من الواجب على الشباب أن يدركوا بحكمتهم أنّ هذه مصيدةٌ لا ينبغي أن يُجرّوا إليها، ولو اعتدّى عليهم، ولو ضربوا وتعرضوا للظلم! فصبرهم على الأذى كان هو عين المصلحة، لأنّهم بذلك سيلقونَ باللائمة على المخالفين وكلّ العالم سوف يَقِفُ ويتعاطف معهم ضدّ من اعتدى عليهم، أما وقد استخدموا القوة فما الذي حصل؟!

كُلُّ مَا يُتَوَقَّعُ مِنْ شَرٍّ وَفَسَادٍ!

لقد اعتُقل العشرات، وأحيلوا إلى المحاكم! - وليس كل هؤلاء شاركوا فعلياً!!

ثم وهو الأسوأ.. تَرَتَّبَ على ذلك وضعٌ أمنيٌّ جديدٌ يَجْنَحُ إلى تشديدِ القبضةِ على المعتصمين والمتظاهرين سلمياً بذريعةِ عَدَمِ إعطاءِ الفرصةِ لِتَكَرَّارِ ما حَصَلَ في الزرقاءِ من إراقةِ الدماءِ واعتداءٍ على رجالِ الأمنِ وترويعٍ للناسِ... إلخ، فقطعوا عن أنفسهم وعن غيرهم سبيل الإصلاح والتغيير بهذه الطريقة!

وأطالوا في أمدِ الإفسادِ والمفسدين وهم يريدون إزاحةَ الفسادِ والمفسدين!

فكم من مريد للخير لم يصبه!

وكم تحتاجُ الأُمَّةُ إلى من يتمتَّعُ بالحكمةِ وبُعدِ النظرِ وفقهِ السياسةِ الشرعيةِ!

[صُلحُ الحُدَيْبِيَّةِ] ودروسٌ في الحكمةِ.

لقد كَانَ لِلأُمَّةِ درسٌ عمليٌّ عظيمٌ في الحكمةِ و الموازنةِ بين المصالحِ والمفاسدِ في واقعةِ صلحِ الحُدَيْبِيَّةِ، وهو صلحٌ مشهودٌ ذكرَهُ اللهُ في كتابهِ وَسَمَّاهُ فَتْحاً مُبِيناً، فَمَعَ مَنْ كَانَ هَذَا الصُّلْحُ؟

وماذا تَضَمَّنَتْ بُنودُهُ؟!

لقد عَزَمَ النَّبِيُّ عليه الصلاة والسلام وصحابته الكرام على العمرة ووعدهم النبي بأنهم سيقدمون إلى البيت ويطوفون به، وخرج معهم جمع كبير من المهاجرين والأنصار بلغ عددهم نحو ألفٍ وأربعمائة، فلما علمت قريش بقدمهم أرادوا منعهم من دخول مكة، ومكة بلد الله الحرام وهي موطن المهاجرين الأصلي، فيه ولدوا ونشأوا، وبسبب إيمانهم أخرجهم المشركون منه وقتلوهם وعذبوهم وصادروا ممتلكاتهم، ثم قاتلوهم يوم بدر ويوم أحد ويوم الخندق، فهم ألدُّ أعدائهم، ومع ذلك يقبل الصلح معهم!!

والصلحُ يتضمَّنُ بنوداً، شَعَرَ المسلمون أنَّ فيها الدنيةَ في دينهم!

وقد كان عليه الصلاة والسلام قد أضمرَ في نفسه الاستعداد للتعامل مع البدائل المطروحة لقبولها إن كانت رشيدة، حيث قال:

(والذي نفسي بيده لا يسألونني خطئاً يعظمونَ فيها حُرُماتِ الله إلا أعطيتُهُم إيّاها)^١

وسأُنقل هنا أهمَّ ما ورد في تلك الواقعة، لنرى من خلالها حكمة النبي صلى الله عليه وسلم وما يتمتع به من مرونة لا تتعلَّق بأصل الدين وثوابه يُمكنُ التفاوض مع الأعداء بشأنها.

[ثم إنهم أرسلوا سهيل بن عمرو مُمَثِّلًا عنهم ليكتب بينهم وبين المسلمين كتابا بالصلح فلما جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: هات أكتب بيننا وبينكم كتاباً

فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الكاتب (وكان الكاتب علي رضي الله عنه)

- فقال: أكتب (بسم الله الرحمن الرحيم)
- فقال سهيل: أما (الرحمن) فو الله ما أدري ما هي ولكن اكتب (باسمك اللهم)
- وقال المسلمون: والله ما تكتب إلا بسم الله الرحمن الرحيم
- فقال النبي صلى الله عليه وسلم : اكتب (باسمك اللهم).
- ثم قال هذا ما قضى عليه محمد رسول الله.
- فقال سهيل: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك!
- ولكن اكتب (محمد بن عبد الله).
- فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: والله إني لرسول الله وإن كذبتُموني اكتب (محمد بن عبد الله)

وفي "رواية مسلم":

- فأمر علياً إن يمحوها، فقال علي: لا والله ما أحموها.
- فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرني مكانها، فأراه مكانها فمحاهها
- فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به.
- فقال سهيل: والله لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة، ولكن ذلك من العام القادم وليس مع المسلمين إلا السيوف في قراها فكتب.
- فقال سهيل: وعلى ألا يأتيك منا رجل وان كان على دينك إلا رددته إلينا ومن جاء منكم لم نرده عليكم.
- فقال المسلمون: سبحان الله كيف يُردُّ إلى المشركين وقد جاء مسلماً؟!
- والتفتوا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، يسألونه: أنكتب هذا يا رسول الله؟!
- قال: نعم، إنه من ذهب منا إليهم فأبعده الله، ومن جاءنا منهم فسيجعل الله له فرجاً ومخرجاً.

وقد شقَّ ذلك الصلح بادئ الأمر على الصحابة وغضبوا غضباً شديداً
وشعروا أنَّ الاتفاق مجحفٌ في حقهم ولم يستوِ الطرفان في المعادلة، فقد ورد في
الصحيحين ما يلي:

إن عمر بن الخطاب قال: (فأتيت نبي الله صلى الله عليه وسلم فقلتُ:
ألستَ نبيَّ الله حقّاً؟

- قال: بلى

- قلتُ: ألستَ على حقٍّ وعدونا على باطلٍ؟

- قال: بلى

- قلتُ: أليس قتلتنا في الجنة وقتلهم في النار؟

- قال: بلى

- قلتُ: فلماذا نعطي الدنية في ديننا إذن؟

- قال: إني رسول الله، ولستُ أعصيه وهو ناصري...¹

وقد اغتمَّ المسلمون من موافقة النبي صلى الله عليه وسلم على الشرط
الذي أملاه سهيل بن عمرو من رد من جاء إليهم مسلماً من طرف المشركين،
وازداد غمُّهم عندما أقبل أبو جندل - وهو ابن سهيل بن عمرو - فاراً من
المشركين يرسف في الحديد، فقام إليه أبوه آخذاً بتلابيبه وهو يقول:

(يا محمد لقد لجت القضية بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا)

قال: " صدقت "، فجعل ينثره ويجرّه ليردّه إلى قريش، وأبو جندل يصرخ بأعلى صوته: يا معشر المسلمين أأرد إلى المشركين يفتنونني في ديني!

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(يا أبا جندل: اصبر واحتسب فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً، إنا أعطينا القوم عهداً وإننا لن نغدر بهم)

وأنا هنا لا أريد أن أعلق على تلك الواقعة العظيمة، ففيها من الدروس والفوائد ما يملأ سِفراً من الأسفار، وأكتفي بذكر عبارة قصيرة مما رواه ابن هشام عن ابن إسحاق عن الزهري قال:

(ما فتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه، إنما كان القتال حيث التقى الناس، فلما كانت الهدنة ووضعت الحرب. وأمن الناس بعضهم بعضاً، والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة، فلم يكلم أحدٌ بالإسلام يعقل شيئاً إلا دخل فيه. ولقد دخل فيه تينك الستينين مثل من كان في الإسلام قبل ذلك أو أكثر).

ولذلك سمى القرآن فتحاً مبيناً، فهل رأيت فتحاً بغير قتالٍ وسلاح!!

ها هو قد حصل ودخل الناس في دين الله أفواجا، فتحقق من هداية الناس بالصلح والتنازل عن بعض ما ليس من الثوابت ما لم يتحقق بالجهاد!

فالحكيم إذن، يختار الجهاد ويقدمه عندما تترجح فيه المصلحة، ويختار الصلح ويقدمه عندما تترجح فيه المصلحة، وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم.

وقد يقول قائل: إن هذه الواقعة كانت تحوطها العناية الإلهية، ورسول الله صلى الله عليه وسلم، مؤيد بالوحي ولم يفعل شيئاً بأمره!

والجواب على ذلك من أوجه؛

أولاً: إن هذا يدل على أن الوحي يؤيد الخطط والأفعال الحكيمة.

ثانياً: إن غضب الصحابة رضي الله عنهم، يدل على أنهم كانوا يعلمون أن هناك هامشاً من الاجتهاد النبوي في التعامل مع القضية، ولو علموا أن الأمر متعلق بمحض الوحي لما كان منهم سوى التسليم والخضوع المعهود منهم.

ثالثاً: مما يؤكد الفقرة السابقة، أمره صلى الله عليه وسلم لكتابه أن يمحو... كذا وكذا، ويكتب.. كذا وكذا، وهذه هي المرونة في غير الثوابت التي ندندن حولها، وهي متروكة لاجتهاد أهل الحل والعقد في الأمة، فيما يحقق المصلحة العامة، لا المصلحة الشخصية أو الفئوية!

كيف تُكتسب الحكمة؟

كُلُّ مَنْ يَقْرَأُ أَوْ يَسْمَعُ عَنْ الْحِكْمَةِ وَفَضْلِهَا، سَوْفَ تَتَوَقَّ نَفْسُهُ لِأَنْ يَتَّصِفَ بِهَا وَيَتَمَنَّى أَنْ يَدْخُلَ فِي الْحُكَمَاءِ وَيَنَالَ فَضْلَهُمْ، وَلَكِي تَتِمَّ الْفَائِدَةُ سَنَذَكُرُ وَبِإِيجَازِ
أسباب اكتساب الحكمة :

أولاً : أن تسأل ممن يملكها وهو الله تعالى

[البقرة]

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾ (٣١)

فطالب الحكمة عليه أن يجعل في دعائه نصيباً لسؤالها فيقول: اللهم
ارزقني الحكمة وخلقني بها، ونحو ذلك.

ثانياً : طلب العلم الشرعي

لأن الحكمة ثمرة في شجرة العلم. فلا حكيم من غير علم.

ثالثاً : مصاحبة الحكماء ومجالستهم

وهذا في كل الصفات والأخلاق، فمن أراد أن يتخلق بخلقٍ ما فعليه
أن يجالس المتخلقين به فإن الصاحب صاحب والمجالس مجالس، فمن أحب أن
يصبح كريماً فعليه أن يصاحب أهل الكرم، ومن أحب أن يصبح شجاعاً فعليه
أن يصاحب الشجعان، وكذلك من أحب أن يصبح حكيماً فعليه أن يصاحب
الحكماء.

إذا كنت في قوم فصاحب خيارهم ولا تصحب الأردى فتزدى مع الردي
عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي

رابعاً: تقوى الله وخشيته:

لقد قلنا آنفاً إنّ الحكيم لديه ملكة يستطيع بها أن يقدر الأمور ويضعها في موضعها من غير زيادة أو نقصان، وإن من أسباب اكتساب تلك الملكة التقوى والعمل الصالح قال تعالى:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال]

والفرقان هنا بصيرة يؤتيها الله عز وجل لعباده تمكنهم من رؤية الأشياء على حقائقها، فيرى الحق حقاً والباطل باطلاً، والمعروف معروفًا والمنكر منكراً، والمصلحة مصلحة والمفسدة مفسدة وهكذا دواليك. فالتقي مسدد وموفق، لأنه يرى بنور الله تعالى.

خامساً: قراءة سير الحكماء

وعلى رأسهم سيرة سيد الحكماء نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وقد تقدم معنا بعض المشاهد والصور التي تتجلى فيها مظاهر حكمته، كتركه قتل المنافقين وتركه بناء الكعبة على قواعد إبراهيم عليه السلام، وموقفه في صلح الحديبية وغير ذلك كثير ممّا هو مبسوطٌ في كتب السنّة.

سادساً: التجربة

قال معاوية رضي الله عنه: "لا حلیم إلا ذو عشرة ولا حكيم إلا ذو تجربة"¹

وهذه التجارب ليس بالضرورة أن يعيشها المرء بنفسه بل قد يفيدُها من غيره، فالسعيد من اتعظ بغيره، فلسنا بحاجة لكي نتعلم أن السمَّ قاتل أن نحتسي السم!

وإذا رأينا أماننا نفقاً دخل فيه العشرات وكل من دخله لا يخرج منه قد نفهم من ذلك أن النفق فيه مهلكة من سباع أو أفاعي أو نحو ذلك ولو كان من دخله أحياء لخرجوا منه!

فلسنا هنا بحاجة لأن نخوض كل تجربة بأنفسنا لكي نكون حكماء!!

وفي شأن الأحداث الجارية، هناك تجارب لبعض الشعوب في حركاتها التحررية، وهناك شعوب ما زالت متعثرة، ولكل بلد ظروفه الخاصة ولكن هناك عوامل أنجحت تلك الحركات علينا أن نستفيد منها، ونوظفها في الموضع المناسب والوقت المناسب، وهناك أخطاء وقع فيها الآخرون كانت سبباً في حصول تعثرات فالاستفادة من ذلك أن نتفادى الوقوع في الأخطاء نفسها!

الحكمة يمانية

ومن خلال الأحداث الجارية اليوم في اليمن نستطيع أن نشهد مدى حكمتهم - كيف لا وقد قال النبي عليه الصلاة والسلام: ((والحكمة يمانية))¹

إن أهل اليمن قبائل مسلحة، كل شخص يملك السلاح وبالرغم من ذلك عندما خرجوا إلى الميدان مطالبين بالإصلاح والتغيير لم يحملوا السلاح معهم بل تركوه في بيوتهم وقد أطلقت قوات الأمن عليهم النار وقتلت المئات وجرحت الألوف ولم يستفزوا، مع أن السلاح في متناول اليد، لقد أدركوا أن استخدام السلاح سوف يُفاقم الأمر، وأنه سيكون مصيدة لهم من قبل النظام، فإن شهِروا السلاح قمعوهم وأبادوهم وأجهضوا حركتهم التحررية، والذرائع جاهزة، إنهم (إرهابيون) و(عصابات مسلحة)، و(خارجون عن القانون) و(يسعون لانقلابات عسكرية)... إلخ من التهم.

وأنبه هنا إلى أن الحكمة لا تعني أن تُسقط كل ما حصل في دولة ما، في ظرف ما، وزمن ما، على واقعنا!

فيقول البعض: السعيد من اتعظ بغيره، مع أن الواقع مختلف والظرف مختلف وأوجه الشبه تكاد تكون ضئيلة جداً. ويرجع بنا إلى واقع ما قبل ثلاثين سنة وأربعين سنة ويقول ألم يحدث في الماضي كذا وكذا؟

1 البخاري - الفتح 6 (3499) واللفظ له، ومسلم (52)

من المستفيد مما حدث في الزرقاء؟

إنَّ المستفيد من تلك المواقف والتصرفات الارتجالية الانفعالية هم الطرف المخالف بكل اتجاهاته، فنحن ندعو إلى الجهاد في سبيل الله في دفع العدو الصائل ورد الغزاة عن ديار المسلمين، حماية لدماء المسلمين وصوناً لأعراضهم وقد تحملنا في سبيل ذلك ما تحملنا!

ولا نذهب إلى التهور الذي يذهب إليه هؤلاء، فليس قتال رجال الأمن من الجهاد في شيء ولا استخدام العنف مع المسلمين المخالفين من منهجنا في شيء ولم ندعو إليه يوماً من الأيام، وقد حُسِبَت هذه الأفعال علينا ونسبت إلى السلفية بغير حق.

وفي كلِّ موضعٍ تنحرف فيه البوصلة عن تحديد العدو الحقيقي، وهم الغزاة الحربيون، وتتوجَّه البنادق إلى صدور أبناء الأمة، يخسر محبو الجهاد وأنصاره العديد من المكاسب والمنجزات، وتظهر الصورة الوحشية القائمة، والمتَّسمة بالهمجية، لتغطي على الحسنات، ويخيب ظنُّ الشعوب التي تنظر إلى المجاهدين على أنهم هم الشرفاء الذين يزودون عن حماهم ويحفظون أعراضهم، عندما يرون أنفسهم قد أصبحوا هم الهدف، فيميلون إلى من يظهر في المشهد بصورة المنقذ لهم من شر هذه الجماعات الإرهابية المتطرفة، وسيعبرون له عن تقديرهم وامتنانهم!!

وهناك طرف آخر في المشهد يمثل طائفة ممن تشرب أعناقهم وترتفع عقائهم بالتشفي مستغلين هذه الأحداث الهوجاء، يظهرون بصورة الناصح الحكيم !!

والممثلون لهذا الطرف لا يرون اليوم جهاداً في مشارق الأرض ومغاربها، لا ضد الروس ولا ضد الصليبيين، وليس هناك دفع عدو صائل لا في أفغانستان ولا الشيشان ولا العراق!

وكل ما يجري هو من الفتن التي ينبغي أن نصون عنها أنفسنا وألستنا !
وكل ما يجري من حراك شعبي للإصلاح والتغيير عبر المظاهرات السلمية هو بدع محدثة على الطريقة الغربية لا يجوز تقليدهم فيها، بل هي خروج على أولياء الأمور الشرعيين!؟

نحن ندافع ونكافح دائماً في مجالسنا لإزالة هذا اللبس المتعمد بين الحق والباطل، ثم يأتي هؤلاء الشباب المنفعلون ليُعطوا مبرراً للمخالفين ليقولوا: ماذا كنا نقول لكم! انظروا إلى المفاصد التي نشأت عن هذا المسلك الذي تؤيدونه ولا تؤيده، انظروا كيف تحولت الحشود السلمية إلى أعمال عنف أريقَتْ فيها دماء!!

ونحن بالطبع لا نتحمل أخطاء غيرنا.

[الباسُ الأفغانف].....وولاته !!

واحدة من الأمور التي كنتُ وما زلتُ أنصح هؤلاء الشباب بها، ومنهم من يستجيب وأكثرهم لا يستجيب هي إصرارهم على هيئة واحدة في لباسهم، وهي لباس شعوب الأفغان والهند وباكستان، وقد كنت أقول لهم أنتم لا هنود ولا أفغان فلم تلبسون هذا اللباس؟!

وهذا اللباس قطعاً ليس هو زي النبي عليه الصلاة والسلام ولا الصحابة الكرام ولا لباس أهل بلدنا!

فإما أن يكونَ لباسٌ شهرةً وهذا مُحَرَّمٌ!

أو يكون فيه تشبُّعٌ للمرء بما لم يُعطَ وهذا قد يدخلُ في (الحيلِ النفسية)!!

والراجحُ لدي هو الثاني؛ ذلكم أن هؤلاء الشباب من المحبين للجهاد والمتأثرين برموزه وقادته في عصرنا الحالي، حتى صار الزيُّ الأفغانف يرمز إلى المجاهدين ولون العمامة وطريقة تكويرها يوحي بالانتماء لمنهج معين وطائفة معينة فيقع هؤلاء الشباب الصادقون بسبب حبهم للجهاد في ما يسمى "بالحيل النفسية" فهو بمجرد ارتدائه لهذا الزيِّ الخاصِّ بالمجاهدين (بحسب ظنه وليس الأمر كذلك بل يلبسه كذلك الشيوعيون الحشاشون والقتلة هناك) تطمئن نفسه وتستريح ويشعر أنه قد انتمى بالفعل إلى ساحة الجهاد وإلى المجاهدين وعاش في

وَهُمْ كَبِيرٌ وَكَأَنَّهُ صَارَ بِذَلِكَ مُجَاهِدًا وَلَوْ لَمْ تَغْبِرْ قَدَمَاهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَوْ لِلْحِظَّةِ
وَاحِدَةٍ!!

وهنا أقول:

ولو كان هذا اللباسُ من السنة فإنَّ الحكمة تقتضي اليومَ تركَ هذه
السنة، (ومن السنة أحياناً تركُ السنة) لأنه يفتح لهم باباً عريضاً من الشبهة
والإشكالات والمضايقات والتصنيف والتشديد الأمنيّ، ومصاعب لا تكاد
تحصى له ولغيره مقابل لباسٍ ليس إلّا ! فيدفعُ ثمناً باهظاً مقابل ... لا شيء!!

الرسالة الثانية : وهي للفريق الثاني

وهذا الفريق في نظري يمثل السلبية والإحجام والتقاعس دائماً، وقد وصل إلى درجة النفاق الاجتماعي والمداهنة للطغاة والمجرمين والظالمين على طول الخط، ولو وجدنا لهم بعض المواقف الاستثنائية الإيجابية لاستطعنا أن نقول إنهم يمتلكون شيئاً من الحكمة، فلديهم من المواقف الإيجابية كذا وكذا، ولكننا لم نجد منهم إقداماً وشجاعة إلا على إخوانهم المخالفين لهم، من علماء عاملين ودعاة مخلصين ، في الهجوم ضدهم والتشنيع عليهم والاستهانة بهم، والسعي في إسقاطهم وصدّ الناس عنهم!

لا يثورون ولا يغضبون إلا في وجه إخوانهم الذين يسرون معهم في خط الدعوة والتعليم حتى من أبناء المنهج وفي إطاره العام وليس في إطاره الخاص الذي يمثله أفراد معدودون.

لقد ذكرت في المقدمة أنني قد وقع بين يدي رسالة صغيرة الحجم لأحد هؤلاء الأفراد من إخواننا طلبة العلم وعنوانها (الدعوة السلفية الهادية وموقفها من الفتن الجارية) فوجدته خير من يمثل هذا الطرف المجانب للحكمة على ما أعتقد، وقد قرأت الرسالة وعلّقتُ عليها بملاحظات مقتضبة على جوانب الصفحات، وإليكم هذا التعليق، ونسأل الله تعالى أن يرزقنا الإخلاص والتجرد للحق في نقد هذه الرسالة والدخول في محاورة هادئة مع أصحاب هذا

54 = الحلقة الباقية في الإصدار التجاري بمحاورة هادية

المنهج - في الأحداث الجارية فحسب -!! وأن لا يجعل لأنفسنا حظاً في شيء
ذكرناه.

والله المستعان وعليه التكلان.

[أحاديث الفتن] إسقاطات جائرة وتأويلات حائرة !!

ساق المؤلف حديثاً لحذيفة بن اليمان رضي الله عنه، يتحدث فيه عن الفتن، واستشهد في رسالته في العديد من المواضع بأحاديث مشابهة في نفس الباب، وكذا الشأن مع الروايات التاريخية وأقوال الأئمة.

تعليق مجمل

إنّ هذه الفئة تكثر من إيراد الأحاديث المتعلقة بالفتن وأقوال العلماء والأئمة الذين يُحذرون من الفتن، ونحن لا ننكر شيئاً من ذلك ونتفق معهم على كل النصوص الصحيحة في ذلك، ولكن مشكلة القوم في إسقاط النصوص على الواقع وتوجيهها في الاتجاه الذي يوهم القارئ والسامع أن المقصود بها ذات الواقع والحدث الذي يسوقونها لأجله!

بل حتى آيات القرآن الكريم وجَّهوها كما يريدون وأنزلوها على ما يشتهون، كقوله تعالى:

[البقرة]

﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ (٢١٧)

وقوله تعالى:

[التوبة]

﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ (٤١)

ولأننا سمعنا من يحتج بهاتين الآيتين الكريمتين - مرّات عديدة -
ويُسقطها (جهلاً أو تجاهلاً) على غير موضعها، فيحسُن أن نذكر هنا ولو بإيجاز
المعنى الإجمالي لهما؛

أما قوله تعالى ﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ فمعناها: إنَّ فتنة المسلم عن دينه
بالكفر والشرك أكبر عند الله تعالى من القتال في الأشهر الحرم!

وأما قوله تعالى: ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ فتأويلها يُفهم عند قراءتها من
أولها، مع معرفة سبب نزولها؛ فأول الآية ﴿ومنهم من يقول ائذني لي ولا تفتني﴾
﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾، وقد نزلت في (الجد بن قيس) وهو من المنافقين! وقد
استأذن الرسول صلى الله عليه وسلم بأن يتخلف عن غزوة تبوك، زعماً منه أنه
يخشى على نفسه من الافتتان بجواري الروم الحسناوات، فيضيع بذلك دينه
وتقواه!

فأخبر الله تعالى المؤمنين بأن السقوط الحقيقي في الفتنة هو بالتخلي عن
واجب نصره الدين، وأن هذه الأعذار إنما هي أعذار كاذبة يريد بها المنافقون أن
يفرّوا من القتال ومواجهة العدو!

نخلص من الآيتين الكريمتين إلى ما يلي:

أولاً: إن الفتنة الأكبر والأشد عند الله تعالى هي فتنة المسلمين عن دينهم،
والعمل على إضلالهم، وهي أكبر من سفك الدماء.

ثانياً: إِنَّ الْفُرَارَ مِنْ سَاحَاتِ الْمَوَاجَهَةِ يَحْتَثُّونَ الْأَعْذَارَ دَائِماً، لِدَفْعِ التَّهْمَةِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ !

ثالثاً: إِنَّ الْفُتَاوَى الَّتِي تُبَالِغُ فِي التَّحْذِيرِ مِنَ الْفِتَنِ، وَتُوصِي بِاجْتِنَابِهَا وَالْإِبْتِعَادِ عَنْهَا، هِيَ فُتَاوَى تَحْذِيرِيَّةٌ مَرِيحَةٌ لِلْبَطَّالِينَ، تُشْعِرُهُمْ بِالرِّضَا النَّفْسِيِّ وَهُمْ يَتَخَلَّوْنَ عَنْ تَحْمُلِ مَسْئُولِيَّاتِهِمْ وَوَاجِبَاتِهِمْ، الَّتِي تَتَعَارَضُ مَعَ أَهْوَائِهِمْ وَمَصَالِحِهِمْ الشَّخْصِيَّةِ!!

إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَالُوا لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَرِيباً مِنْ ذَلِكَ عِنْدَمَا أَمَرَهُمْ بِدُخُولِ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ؛

﴿قَالُوا يَمْوَسَّىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَنُودُكُم بِأَلْسِنَةٍ حَثِيثَةٍ﴾

﴿فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ (٢٢)

[المائدة]

إِنَّهُمْ يَرِيدُونَ نَصراً رَخِيصاً يُقَدِّمُ لَهُمْ عَلَى طَبَقٍ مِنْ ذَهَبٍ! أَوْ يَنْتَزِلَ عَلَيْهِمْ تَنْزَلُ الْمَنِّ وَالسَّلْوَى!! بَلَا تَكَالِيفَ وَلَا جِهَادٍ وَلَا تَضْحِيَّةً!!

فَكَانَ جَزَاؤُهُمْ أَنْ يَتِيهُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعِينَ سَنَةً، حَتَّى يَذْهَبَ ذَلِكَ الْجِيلُ الْجَبَانُ وَيَأْتِيَ جِيلٌ جَدِيدٌ نَشَأَ فِي الصَّحْرَاءِ وَتَرَبَّى عَلَى الْبَأْسِ وَالْجُلْدِ.

إِنَّ مِنْ أَبْنَاءِ الْإِسْلَامِ أَجْيَالاً مَضَّتْ، لَمْ يَفْقَهُوا دَرَسَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَتَاهُوا فِي الْأَرْضِ عَشْرَاتِ السِّنِينَ وَلَمْ يَعُثُوا عَلَى الْمَخْرَجِ وَلَمْ يَعْرِفُوا عَلَى سَبَبِ ذُلِّهِمْ

وهوانهم وتسَلَطُ الأعداء عليهم، مع أَنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيَّنَّ لَهُمْ ذَلِكَ أَشْفَى بَيَانٍ عِنْدَمَا قَالَ:

((يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ الْأُمَمُ مِنْ كُلِّ أَفْقٍ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا)) قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمِنْ قَلَّةٍ يَوْمَئِذٍ قَالَ: لَا وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ يُجْعَلُ الْوَهْنُ فِي قُلُوبِكُمْ وَيَنْزَعُ الرَّعْبُ مِنْ قُلُوبِ عَدُوِّكُمْ لِحُبِّكُمْ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَتِكُمُ الْمَوْتِ)).¹

إنَّهم عندما عجزوا عن العثور على نصٍّ محكمٍ من كتاب أو سنَّةٍ، تُحَرِّمُ التظاهرات الشعبية السلمية، التجئوا إلى أحاديث الفتن، فباب التأويل فيها واسعٌ جداً، والإسقاطات أوسع!

وكلما استجدَّ شيءٌ في الواقع لا يروق لمنهجهم، قالوا هذا من الفتن التي حذَّرَ منها النبي صلى الله عليه وسلم، وساقوا إليك ذات الروايات!

الأحداث الجارية تقليد داخل في (اللاوعي)!

لقد أشار المؤلف في مقدمة الكتاب عن سبب تأليفه وتكلَّم عن الأحداث الجارية وذهب إلى أن كثيراً منها تقليد في تقليدٍ، فقال:

[فَإِنَّ الْأُمَّةَ الْعَرَبِيَّةَ الْإِسْلَامِيَّةَ - فِي كَثِيرٍ مِنْ دَوْلِهَا - الْيَوْمَ .. تَعِيشُ -
وَمِنْذُ عَدَّةٍ شُهُورٍ - حَالَةٌ غَيْرَ مَسْبُوقَةٍ مِنَ الْخَلَلِ الْاجْتِمَاعِيِّ، وَالْانْفِلَاتِ الْأَمْنِيِّ،
وَالْعَلْيَانِ الشَّعْبِيِّ - وَلَا مُفَرَّجَ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى ...]

وَلَا أَرَى جُلَّ هَذَا - وَأَكْثَرَهُ - فَوَا أَسْفَى الشَّدِيدِ - إِلَّا (تَقْلِيدًا) مَذْمُومًا،
و(تَقْلِيدَةً) مَحْمُومَةً مِنْ بَعْضِ (هَؤُلَاءِ) لِبَعْضٍ - كَمَا نَبَّهَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ -
رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي كِتَابِهِ (الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ) ص 68 حَيْثُ قَالَ :

" كَمِ مِنَ النَّاسِ مَنْ لَمْ يُرِدْ خَيْرًا وَلَا شَرًّا، حَتَّى رَأَى غَيْرَهُ - لَا سِيَّمَا نَظِيرَهُ
- يَفْعَلُهُ، فَفَعَلَهُ، فَإِنَّ النَّاسَ كَأَسْرَابِ الْقَطَا، مَجْبُولُونَ عَلَى تَشَبُّهِ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ .
ولهذا، كان المبتدئ بالخير وبالشر، له من الأجر والوزر مثل من تبعه]

• التعليق:

فالحرركات الإصلاحية التي نجحت في إسقاط النظام البولييسي العلماني في
تونس،الذي كان يحارب الشريعة ويمنع أدنى الحريات الشخصية كالحجاب
وإعفاء اللحي! ويحرم تعدد الزوجات ويبيح الزنا (بالتراضي)!!

وينهب أموال الناس لحساب عائلته الخاص، ونجحت في إسقاط النظام
المصري الذي لا يقل عن الأول سوءاً فيما تقدم وربما يزيد عليه فيما كان يقدمه
من حماية أكبر لدولة اليهود وتضييق للخناق على أهل غزة، وربما في حجم
المليارات التي سرقها من قوت شعبه!

أقول: هذه الحركات إذن ألقت بظلالها السوداوية القائمة على الأمة - بحسب نظر المؤلف - وأدت إلى خلل اجتماعي وانفلات أمني!!

وما هي إلا تقليد مذموم وتقليد محموم، حصل في تونس فقلدهم أهل مصر ثم أهل اليمن ثم أهل ليبيا ثم أهل سوريا وهلم جرّاً.

نسأل هنا: وأهل تونس قلّدوا من؟!

وما الضير في التقليد إذا كان محموداً، لا محموماً؟!

إنّ هذا الكلام فيه تسفيه للملايين من جماهير المسلمين الذين فيهم آلاف العلماء والفضلاء والوجهاء وأصحاب الرأي والخبرة والسياسة، كلّهم أيدوا هذه الحركات بل وشاركوا فيها بأنفسهم، واعتبروها من قول الحق والصدع به، ومطالبهم مشروعة في حق أي إنسان بالحرية والكرامة والعدالة وكل القيم التي ترفع الإنسان عن مستوى البهيمية.

إن هناك فساداً ضارباً بجذوره في العالم العربي لا ينكره ذو بصر (إلا المكابرون)!

وهناك كبت للحريات لا يُكذّبُه ذو مروءة (إلا السائرون في ركاب الأنظمة المنتفعون منها)!!

وهناك مظالم وأكل للحقوق، ومن حق الناس أن يتظاهروا سلمياً بحكمة وتوجيه من العقلاء والحكماء.

أقول: مرة أخرى، عندما لم يجدوا نصاً شرعياً واضح الدلالة في تحريم ما يجري قالوا:

[تقليد]!

ما المشكلة في هذا التقليد وأين الدليل الشرعي على حرمة التقليد إذا كان في أمرٍ مباح وفيه مصلحة؟ ولماذا جعلته في التقليد المذموم وبناءً على أي اعتبار؟ ثم ساق إلينا نصاً لشيخ الإسلام ابن تيمية فوجَّهه (كما هو صنيعه غالباً مع النصوص) إلى ما يوهم القارئ بأنه يؤيده، وأنا أريد من القارئ هنا أن يُعيد قراءة كلام شيخ الإسلام وينتبه إلى ما يلي:

أولاً: (إن الناس كأسراب القطا مجبولون على تشبه بعضهم ببعض)

فهذا أمر جبلوا عليه فكيف يكون مذموماً بإطلاق؟!

ثانياً: (ولهذا كان المبتدئ بالخير وبالشر له من الأجر والوزر مثل من تبعه)

وهذا يعني أن الذي يبتدئ بفعل أمرٍ فيه خير ومصلحة فيراه الناس فيتبعونه ويُقلِّدونه، له مثل أجورهم!!

إذن نستطيع هنا أن نسوق كلام شيخ الإسلام ونستدل به على عظم ثواب من ابتدأ تلك الاحتجاجات وكان سبباً لتقليد الناس له في هذا الخير!!

فالتقليد، منه المذموم المحموم، ومنه الممدوح المحمود.

ثم ساق شواهد على هذا التقليد المحموم، فذكر تتابع الناس في الانتحار
تقليداً لمفجّر ثورة تونس!!

وقال: قتل النفس من أعظم الكبائر بعد الشرك بإجماع أهل العلم.

• التعليق:

الأمر لا يحتاج إلى إجماع أهل العلم، فلم يُبح قتل النفس أصغر طلاب
العلم!!

وهذه أخطاء فردية لا تتجاوز أصابع اليدين لا تمثل الخط الديني ولا تؤثر
أو تقدح في عشرات الملايين الذين تظاهروا واحتجوا دون أن يقتلوا أنفسهم،
فمن العجب أن لا يرى المراقب من الأحداث إلا الصورة السوداوية القائمة مهما
كانت ضئيلة ولا يرى أية مصلحة أو إنجاز أو قيمة في كل ما جرى ويجري!
وهذا ملحوظ في الرسالة من أولها إلى آخرها، فلم تقدم تلك الثورات في
نظر المؤلف أي إنجاز!

وهي شرٌّ محض وفتن وبلايا ورزايا على الأمة!! وسيأتي نقاش ذلك لاحقاً
وعين الرضا عن كل عيب كليلّة كذاك عين السخط تُبدي المساواة

طاعون وتقليد

قال تحت هذا العنوان:

ولقد أعجبني وصفُ بعضٍ من لم تُلوّثِ السّياسةُ - ووسائلُ إعلامِها -
فطرتهُ، واصفاً هذا الذي يحدثُ - وينتقلُ - سريعاً - جداً جداً - بين الشُّعوبِ
- والبُلدانِ ب (الطّاعون) و (أنفلونزا الخنازير) وصدق....]

• التعليق:

لقد استدل المؤلف في عدة مواضع بأقوال ونقولاتٍ أعجبته جداً
لصحفيين وسياسيين ومجاهيل، سنشير إليها في موضعها، ولكن! نقلُ هذه
العبارة والإعجابُ بها أليس هذا هو عين التقليد للآخرين؟!

ربما هذا ليس من التقليد المحموم، لأنَّ هذا الصحفي ممن لم تلوث
السياسة والإعلامُ فطرته!!

صوراً أخرى للتقليد:

قال تحت هذا العنوان:

[وتأكيداً لمعنى (التقليد) المقدمة الإشارةُ إليه: كم سمعنا من ألفاظٍ
وعباراتٍ وجمل، وشعارات، تُردّد وتتردّد - بل يُهتفُ بها في سائر (البلاد)! -
التي حدث فيها ذلك البلاء- على اختلاف لهجاتهم، وعاداتهم! - كمثل

الوصف بـ (البلطجية!) وقولهم (الشعب يريد...[إسقاط/إصلاح] النظام)!!
وما إلى ذلك!]

هذه الشواهد هي التي أزعجت المؤلف وجعلت التقليد مذموماً في نظره
ولم يجد ما يذكره سوى ذلك، "البلطجية" "الشعب يريد"

والعجيب! أني رصدت له من غير كبير تكلف العديد من المواضع
استخدم فيها مصطلحات قلّد فيها الآخرين، على سبيل المثال:

(facebook)، (أنفلونزا الخنازير)، (عصيان مدني)، (المظاهرات)،
(اعتصامات)، (ذم الإقليمية والعنصرية)، (نحن أم الآخر)، (رياح التغيير)،
(الاعتماد على الشارع)، (حرّيات)، (إضراب)، (الفوضى الخلاقة)، (فعاليات)!!
وبالطبع إنّ وضع هذه المصطلحات بين مزدوجين وإتباعها بعلامات
تعجب لا يُضفي عليها صفة الشرعية ولا يُلغي أنه مقلد لغيره باستخدامها،
وأنه لم يجد بديلاً لتلك المصطلحات!

ونحن لا مشكلة لدينا مع تلك المصطلحات، إلّا أنه ذم تقليد المتظاهرين
لأنهم قالوا "الشعب يريد" و "البلطجية" ووقع فيما فيه تقليد للنخب السياسية
والإعلامية مثل قوله: (الاعتماد على الشارع)!!

ولفظ الشارع عند أهل العلم والفقه و(الحديث)، بمعنى المشرّع
ويقصدون به (الرب سبحانه) وأحياناً (الرسول صلى الله عليه وسلم).

الشعوب تُقلد من؟

إنَّ الشعوب الإسلامية سوف تفقد الثقة بهذه الفئة ومنهجها وأتباعها عندما تجدهم منحازين إلى الأنظمة ضدهم، وكأنهم ليسوا جزءاً من الشعب.

أنا لا أدعو إلى متابعة الشعوب بالباطل ولا السعي في إرضائها بغير الشرع ولكن أذكر هنا بأن هذه الشعوب إنما تقلد وتتبع من يتعاطف مع قضاياها ويشاركها همومها ولأواءها ويقف إلى جانبها في قضاياها العادلة.

وإنه لمن المعيب حقاً أن تجد الشعوب يد الكافر والأجنبي تمتد إليها بالمواساة والتشجيع على انتزاع حقوقها بالطرق السلمية وتجد الخذلان بل والتقريع والتسفيه والتشويه وإعلان الحرب من فئة إسلامية، من أبناء الشعب.

إن ذاكرة الأمة طويلة وسوف تحفظ لهؤلاء القوم تلك المواقف المتخاذلة كما حفظها التاريخ لأمثالهم.

تشوير وتهيج للشر!

وتحت هذا العنوان قال:

[وَمَا يَزِيدُ هَذَا الْبَلَاءَ، وَيُضَاعِفُهُ: ذَلِكَ التَّشْوِيرُ الشَّدِيدُ الَّذِي تُمَارِسُهُ بَعْضُ وسائل الإعلام العالمية والعربية - من فضائيات، ومواقع التواصل الاجتماعي - المشهورة - في (شبكة الانترنت) فضلاً عن بعض الصحف والإذاعات .

ويرعى هذا - كُله - ويُناصره، ويدعمه كثيراً - اليوم - تحت شعارات:
(تحقيق مطالب الشعوب) و (حقوق الإنسان) - كثير من الدول الغربية
والمنظمات الحقوقية العالمية].

• التعليق:

هل (فقه الواقع) تعيّر عند (السلفيين) اليوم؟!

يبدو ذلك، وله شواهد كثيرة من هذه الرسالة، وتأمل ما يقول:

[تمارسه بعض وسائل الإعلام العالمية والعربية من فضائيات ومواقع
التواصل الاجتماعي في شبكة الانترنت فضلاً عن بعض الصحف والإذاعات]

وهذا الكلام بالطبع يعبر عن وجهة نظر المؤلف من خلال متابعته
الشخصية لوسائل الإعلام العالمية والعربية من فضائيات و.... الخ.

ولو كان هذا الكلام منقولاً عن شخص آخر لنسب القول إليه، لما تقتضيه
الأمانة العلمية!!

ولو كان هذا الكلام قد نقل عن غيره قبل أشهر قليلة، لاتهموا صاحبه
بأنه من أصحاب " الفقه الواقع " !! وأنه يهتم بقضايا يُشتَم منها الخروج عن
(المنهج السلفي) إلى المناهج الحركية والحزبية !!

وسبحان مُعَيِّر الأحوال !

أمريكا والغرب وراء ما يجري!

وماذا لو تعاطفت المنظمات الحقوقية العالمية والغربية مع الشعوب العربية
المقهورة وسعت للدفاع عنها إعلاميا وساعدتها إنسانياً؟؟!!

هل الواجب على المسلمين أن يرفضوا مواقف هذه المنظمات التي تؤيدهم
في مطالبهم المشروعة بالحرية والكرامة والعدالة؟!

إنّ هذه الحقوق مشتركات إنسانية لا تختص بدين أو جنس أو إقليم.

إن الذين قاموا بنقض صحيفة الحصار الجائر لقريش على المسلمين هم
نفر من المشركين وقد ساء هؤلاء ما يرون من ظلم لا تقبله مروءتهم وأخلاقهم
وهم أهل شرك .

فهل يتصور عاقل أن يرفض النبي عليه الصلاة والسلام وقفة هؤلاء
المشركين، ويقول لهم لا تقفوا إلى جانبنا ودعوا الظلم يحاصرنا ويحيط بنا ولا
نريد تأييدكم ونصرتكم؟!

انه لم يفعل ذلك، ونُقِضَت الوثيقة الظالمة وعاد الصحابة إلى حريتهم .

ما هذا المنطق العجيب، وما هذا التخُّص والرجم بالغيب، انه يتهم
الغرب بالوقوف وراء هذه الاحتجاجات ودعمها على مستوى الدول!

من (فقه الواقع) الشرعي:

فإذا تكلموا هم في فقه الواقع فهو (فقه شرعي) وإذا تكلم غيرهم فليس (بفقه شرعي)

حلال على بلابله الدَّوْحُ حرام على الطير من كل جنس

قال:

[متى كانت أمريكا وأوروبا - ومن لف لفهما - ناطقين رَسْمِيَّين باسم الشعوب الإسلامية المقهورة - حَرْصاً عليها! واجتماعاً معها - وإليها].

• التعليق:

هل نفهم من ذلك أن أمريكا كانت وراء هذه الأحداث والمحرّكة لها وأنها لم تعد راضيةً عن عملائها في المنطقة فأرادت أن تستبدلهم بحكوماتٍ شعبيةٍ ثوريةٍ تُكِنُّ الكراهية والبغض لليهود والأمريكان؟!

إن أمريكا وأوروبا ومن لف لفهما لم ينطقوا باسم الشعوب المقهورة، وقد حاولوا السكوت وإعطاء مهلة ليروا نتائج الأحداث، بل كانت تصرّحاتهم في الشأن المصري، بعد أسابيع من الثورة:

(إنّ على الحكومة المصرية أن تقوم بإصلاحاتٍ فوريةٍ) وكلُّ هذا منهم لإطالة أمد بقائها، ولم ينطقوا لصالح الشعوب إلا عندما رأوا أن سقوط النظام أمرٌ حتميٌّ، فلم يشاءوا أن يخسروا الشعوب في المستقبل ويحملوها على المزيد من

العداء والكراهية لهم، وقد استفادوا من درسهم الماضي في (إيران) عندما استماتوا في الدفاع عن (الشاه) المخلوع! ونصروه على شعبه، فأسقطه الشعب، فكانت النتيجة؛ أن أمريكا هي "الشیطان الأكبر".

والسؤال المهم هنا:

هل أمريكا وأوروبا هم أصحاب مصلحة في هذا التغير؟!

وما الذي كان يُزعجهم من تلك الأنظمة التي لم تخالفهم في شيء من إرادتهم قط، وهي متعاونة معهم إلى أبعد الحدود، وهي مصنفة في الدول المعتدلة؟!

هذه مغالطات وتخرصات ورجم بالغيب، وليس من فقه الواقع "الشرعي" ولا "غير الشرعي" في شيء! ولا من التحقيق العلمي في شيء!

وقد اعتمد على تحليلاتٍ منحازةٍ وغير محايدة، ومنزعجة من هذا الواقع الجديد الذي فاجئ الجميع، حتى أن الرئيس الأمريكي وجّه نقداً لاذعاً لجهاز المخابرات الأمريكي لعدم تمكن الجهاز من توقع الأحداث التي جرت في العالم العربي قبل وقوعها.

ثم..لنا أن نسأل هنا؟

هل وصل الأمر بـ(السلفيين) إلى أن يقرؤوا في الصحافة الغربية وينقلوا عن كبار الصحفيين الغربيين؟!

هذا أمرٌ عَجَاب!!

لكنه فقه الواقع " الشرعي "!!

الهرولة مرةً أخرى إلى (الصحف الرسمية الحكومية) !

قال:

نشرت صحيفة الرأي الأردنية - الصادرة بتاريخ (13-4-2011) خبراً -
عالمياً - تحت عنوان : (الثورات في العالم العربي تُحسّن صورة العرب لدى الرأي
العام الأمريكي .

• التعليق:

هل يسوؤكم تحسين صورة العرب و المسلمين في العالم؟!

وهل على العرب أن يسعوا في تشويه صورتهم لدى العالم حتى لا يرضى
الرأي العام الأمريكي؟!

أم هو التشكيك من جديد بتلك الثورات ومواقفها، وأن وراءها
الأمريكان واليهود!!

وأن الشعوب العربية بذلت دماءها في الميادين لتحسين صورة العرب
لدى الرأي العام الأمريكي!!

إنَّ هذا الخبر يؤكد تماماً ما ذهبنا إليه من أن هذه القيم الإنسانية هي قيم عالمية مشتركة بين بني البشر، ف (الحرية) و(الكرامة) و(العدالة) هي من قيم (الحق) التي من اتصف بها حسنت صورته ومن فقدتها قُبُحت صورته.

وقد سمعنا مراراً ما نُقِلَ عن كثير من (أصحاب الرأي العام الغربي) استغرابهم من نوم العرب الطويل ورضاهم بالذل والهوان والعبودية في ظل الأنظمة القهرية القمعية التي تفرض قوانين الطوارئ لعشرات السنين ولا يحرك أحدهم ساكناً!

أمّا الآن فقد أدركوا أنَّ العرب ليسوا نعاجاً، بل هم آدميون لهم كرامة ولهم مشاعر وفيهم مروءة!

ولأجل ذلك تحسّنت صورتهم لدى الغرب.

لقد حاول المؤلف أن يثير الشكوك في أن اليهود و الأمريكان وراء هذه الثورات.

– فقال:

[مَنْ هُمَ الَّذِينَ يَمْلِكُونَ – بَلْ يُجْرِّكُونَ – مَوْقِعَ (فَيْس بَوَك) وَأَمْثَالِهِ –
وَالَّتِي ادَّعَى أَنَّهَا الْوَسِيلَةُ الْأَسَاسُ الَّتِي ثَارَتْ – بِسَبَبِهَا – (الْمُظَاهِرَات) وَقَامَتْ
مِنْ خِلَالِهَا جَمِيعُ الثَّوَرَاتِ الْعَرَبِيَّةِ الْجَدِيدَةِ ؟ حَتَّى أُحِقَّتْ بِهَا وَنُسِبَتْ إِلَيْهَا
وَحَتَّى لَا يَنْسَى مِنْ (قَدْ) يَنْسَى نَسْأَلُ :

من الذين ألغوا صفحة (الفيس بوك) بل قلعوها من جذورها - المتعلقة ببعض شؤون القضية الفلسطينية الحالية، والتي لم تنفك عن الواقع (الثوري) المعاصر؟]

• التعليق:

أقول ببساطة:

أولاً: هل هذا كلام علميٍّ محققٍ، أم رجمٌ بالغيب؟!

ثانياً: هل المؤلف لديه صفحةٌ شخصيةٌ على (فيس بوك) أم لا؟!!!

ثالثاً: نعم، إن هذه الثورة التكنولوجية المستخدمة اليوم هي من نتاج الكفار، وهي بالعموم منجزاتٌ بشريةٌ متاحةٌ لكل الناس، وبالفعل، إن من يقوم على إدارتها والتحكم بها هم في الغالب من الكفار، الأمريكان واليهود وغيرهم من أعداء الأمة، ولكن الأمور قد خرجت عن حدود سيطرتهم، وأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا، واستطاع المسلمون أن يوظفوا هذه المنجزات لصالحهم في مناشطهم الدعوية والاجتماعية، وقد عجزت تلك الإدارات عن إيقاف تلك الثورات التكنولوجية، وإن أفلحت في حجب موقع فلم تستطيع أن تحجب آلاف المواقع.

قال:

[وإنني لأجزم - يقيناً - من خلال التصور الفكري، والتبعية التاريخي -
لما يجري - وما وراءه - إن كثيراً من ذوي الحزبيات المنتسبة إلى الإسلام -
وللأسف : (كادوا) يُفسدون - بحزبيتهم البغيضة، ونظرياتهم المريضة - مُجمل
(دين) الأمة - جهلاً وتحريفاً - ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وها هم - اليوم - بثوراتهم التي يُسمونها : مظاهرات - يسعون لإفساد
عموم (دنيا) الأمة - أيضاً - تحت اسم (المطالبة بالحقوق الدنيوية)]

• التعليق:

أولاً: هذا كلامٌ إنشائيٌ وليس كلامٌ طلاب العلم (من أهل التحقيق
والتدقيق)! فكيف يجزم يقيناً في أمرٍ غيبيٍّ قد يُصيب فيه وقد يُخطئ، فهو في
حدود الظن لا اليقين.

ثانياً: إنَّ أي متابع لهؤلاء القوم يلحظُ جلياً أنَّ مشكلتهم الكبرى ليست
مع أية ملة أو نحلةٍ خارجة عن الإسلام، وأنَّ عداءهم ليس موجهاً للظالمين
والمجرمين، بل العدو الأكبر للأمة هم ذوو الحزبيات البغيضة، المريضة، من
المنتسبين للإسلام، الذين يُفسدون دين الأمة، لأنَّهم هم وراء هذه المظاهرات
التي تُفسدُ دين الأمة !

حرمة دم المسلم :

ذكر تحت هذا العنوان جملةً من الأحاديث الشريفة التي سقناها في رسالتنا للفريق الأول .

ودندن حول سفك الدماء في تلك الانتفاضات الشعبية.

• التعليق:

إنَّ هذا الطرح فيه تحكُّم في النصوص ووضع لها في غير موضعها، فإنَّ الذي يُوجَّه إليه هذا الكلام هو كلُّ من استهان بدماء الشعوب المسلمة وسفكها في ميادين التحرير والتغيير وقد خرجت بصدورها العارية لا تحمل سلاحاً ولا تبغي حرباً!!

إنَّ الأنظمة القمعية هي المعنية بتلك الأحاديث والنصوص الشرعية، فهي التي تقمع شعوبها بالحديد والنار و الرصاص الحي وقنابل الغاز.

والمعني بتلك النصوص، كلُّ من استخف بجريمة قتل المسلمين لخلاف على مصلحة ما، فيتناول كل قتلٍ بغير حق ولا يتناول القتل بحق، كإقامة الحدود والقصاص وقتال المرتدِّين ودفع العدو الصائل!

ولا يتناول (أن يقتل الإنسان دون ماله أو عرضه إلخ) .

لعلكم تقولون: والمعنيُّ بذلك كذلك كلُّ من زجَّ بهؤلاء الناس البسطاء في المظاهرات وعرَّضهم للقتل، وهذا سمعناه بالفعل وهو أمر عجيب حقاً!!

فلا يُسَمَحُ لصاحب الحق أن يُقاتِلَ لنيل حَقِّه، أو دفع الظلم عن نفسه، ولا يسمح له في ذات الوقت أن يُطالبَ بحَقِّه سِلماً بدون قتالٍ، خشية أن يُقدِّمَ ظالمُهُ على قتله !!

إنها حقاً، التربيةُ على الخُضوعِ والذلةِ و حياةِ النعاج .

لقد علَّمنا الرسول صلى الله عليه وسلم أن ((مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ)).¹

فهل هو يجرُّضُ أُمَّته على أن يُلقوا بأيديهم إلى التهلكة ويتعرَّضوا لسفكِ دمائهم في دراهم معدودة؟!

ثم، هل تُنكرون أنَّ الجهاد في سبيل الله هو ذروة سنام الإسلام، وقد يكون فرض عينٍ أو فرض كفاية؟!

هل تنكرون أنَّ الجهاد في سبيل الله من استحقاقه زهقُ الأنفسِ وترمُلُ النساءِ وتيُتَّمُ الأطفالُ وبقر البطون وفقءُ العيون وجدعُ الأنوف وقطعُ الأيدي والأرجل؟!

إِنَّ هَذِهِ الْفَزَاعَةَ "حَرَمَةُ الدَّمَاءِ" لَا يَصْلُحُ إِقْحَامُهَا فِي كُلِّ مَنَاسِبَةٍ، فَإِنَّ
سَفَاكَ الدَّمَاءِ بِحَقِّ أَمْرٍ مَشْرُوعٍ يَبْلُغُ بِهِ صَاحِبُهُ مَرْتَبَةَ سَيِّدِ الشَّهَدَاءِ، قَالَ عَلَيْهِ
الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:

((سَيِّدُ الشَّهَدَاءِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ وَرَجُلٌ قَامَ إِلَى إِمَامٍ جَائِرٍ فَأَمَرَهُ وَنَهَاةَ
فَقَتْلَهُ))¹.

وَقَالَ: ((مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ،
وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قَتَلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ))².

أَمَّا إِذَا كُنْتُمْ تَرَوْنَ كُلَّ مَا يَحْدُثُ حَوْلَكُمْ هُوَ مِنَ الْفِتَنِ، وَتُسْقَطُونَ عَلَيْهِ
أَحَادِيثَ الْفِتَنِ، وَأَنَّ الْجِهَادَ فِي (أَفْغَانِسْتَانِ) ضِدَّ الْغُزَاةِ الصَّلِيبِيِّينَ فِتْنَةٌ!

وَفِي (الْعِرَاقِ) ضَدَّهُمْ فِتْنَةٌ!

وَفِي (الشَّيْشَانِ) ضِدَّ الْغُزَاةِ الرُّوسِ فِتْنَةٌ!

وَقَوْلُ كَلِمَةِ الْحَقِّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ فِتْنَةٌ!

وَالْقِتَالُ دُونَ الْمَالِ وَالْعَرِضِ فِتْنَةٌ!

وَدَفْعُ الْعَدُوِّ الصَّائِلِ فِتْنَةٌ!

1 السلسلة الصحيحة - مختصرة - (1 / 716)

2 صحيح الترغيب والترهيب - (2 / 75)

والمظاهرات السلمية المطالبة بالإصلاح فتنة !

إذن، فاذكروا لنا صورة واحدة من الواقع اليوم ترون أن سفك الدماء فيها بحق (ليس فيه فتنة) في كل هذا العالم بطوله وعرضه !

ثم، ماذا تقولون بفعل أبي بكر الصديق رضي الله عنه عندما قاتل مانعي الزكاة؟

ألم يكونوا من أهل (لا إله إلا الله)؟

لقد قاتلهم وسفكت الدماء، وقُتِلَ مِنْ صَفْوَةِ الْخَلْقِ وخيرة البشر بعد الأنبياء مَنْ قُتِلَ !

نعم هو ولي الأمر، وهو قرّر ذلك، ولكن السؤال هنا،

هل قام (الصديق) بزج الأمة في فتنة عمياء وأزهق الأرواح وسفك الدماء بغير حق؟! !!

وهل كانت الحكمة والمصلحة تقتضي التغافل عنهم لحقن دماء المسلمين؟! !

هذا مثال واحد فقط، ولا أريد هنا أن أُصِلَ لمسألة (حكم المظاهرات)، فلذلك موضع آخر، ولقد قال العلماء فيها كلمتهم .

سؤال محرج في فقه الواقع (الشرعي)!!

ما تقولُ السادة العلماء في جنديٍّ أمره قائدُه العسكريُّ بإطلاق الرصاصِ
الحَيِّ على المتظاهرين سلمياً، وإن لم يفعل ذلك، قتله؟!
إن قُلتُم يجبُ عليه أن يُطلق النار ويُنفذَ الأمرَ العسكريَّ، فأنتم تستبيحون
دماء المسلمين!!

وهذا شيء لا تقولون به وأنا أجزم بذلك.

وإن قُلتُم لا يجوز له طاعتهم في ذلك ولو قتلوه، حيث (لا طاعة لمخلوق
في معصية الخالق) فأنتم بهذه الفتوى تَسفِكُون دَمَهُ كذلك، لأنكم تعرّضونهُ
للقتل!

وإن امتنعتم عن إجابته وقُلتُم (نحن نَجِبُن في شأنِ الدماءِ)، تركتم هؤلاءِ
العوامَّ بدون فتوى، وهذا أمرٌ خطير!

وإن ذهبوا إلى المتطرفين لأخذ الفتوى فهذا أمرٌ أخطر!

أفتونا (مأجورين)!

ثمَّ إنَّ هذا الكلامَ المتقدِّم يساوي فيه صاحبه بين الضحية والجلاد، ولربَّما
نصرَ الجلادَ على الضحية وجعلَ الضحية هي الجلاد.

و من هو الجلادُ يا تُرى؟!

إنَّه الظالمُ المُستبدُّ.

ومن هي الضحية؟

إنهم المسلمون المستضعفون في الأرض!!!

إنه لمن الجدير بالذكر والتذكير هنا، قول النبي عليه الصلاة والسلام :

(ما من امرئٍ يَخِذُلُ امرءاً مُسْلِماً في موطنٍ يُنتَقَصُ فيه من عرضه و ينتهك فيه من حرمة إلا خذله الله تعالى في موطن يحب فيه نصرته، و ما من أحد ينصر مسلماً في موطن ينتقص فيه من عرضه و ينتهك فيه من حرمة إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته).¹

ولكي أكون منصفاً، أقول: إنَّ الكاتبَ قد ألقى ببعض اللائمةِ على الجَلادِ فقال:

[بل قد تكون فرصةٌ لبعض الحكام الخافدين على شعوبهم ليطشوا بهم وينكلوا فيهم وقد كان والله المستعان]

نقول: هل حاكم (ليبيا) من بين هؤلاء؟!

إذن كيف تسمح لنفسك أن تُشاركَ في محطَّتهِ الفضائيةِ الرسميةِ بمداخلةٍ مباشرةٍ، يُعْظَمُ فيها هذا الحاكم (الخاقد على شعبه) ويُسَبَّحُ بحمده فيها صباح مساء؟!

1 (حسن) انظر حديث رقم : 5690 في صحيح الجامع

لقد تهجّمت على الشعوب المقهورة ووصفتها بأنها تريد الفتنة !
وانتقدت العلماء والمشايخ الذين أفتوهم بجواز المظاهرات، واعتبرتّهم من
الخارجين على وليّ الأمر!

نعم إن كثيراً من الكلام المذكور، وقد قرأته، وهو كلامٌ حقٌّ من حيث
الأصل ولكنه بلا أدنى شكٍّ يُراد به باطلٌ، ووجهٌ ضدَّ المستضعفين!
والذي استفاد من المداخلة هو الحاكم (الحاقِد) على شعبه، (السافكُ
لدمائهم) ولذلك قام بإعادة هذه المداخلة على فضائياته عدّة مرّات!! وأنَّ
إعلامه هو الذي نشره و احتجّ به على أبناء شعبه بأنّ أعمالهم غير مشروعة، وهي
من قبيل الفتن وهي خروج على وليّ الأمر!!

هل نسي هؤلاء القوم قول الله تعالى:

﴿وَلَا تَزْكُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ [هود]

[قال سفيان: من لاقَ لهم، أو برى لهم قليماً، أو ناوهم قرطاساً فقد ركنَ
إليهم].

وهل قرؤوا حديث النبي عليه الصلاة والسلام:

((من أعان ظالماً بباطل ليدحض بباطله حقاً فقد بريء من ذمة الله عز وجل وذمة رسوله))¹.

ولله در الإمام ابن القيم ما أفطنه، تأمل جيداً في إحدى روائعه التالية، فإنها جد مفيدة:

[الكلمة الواحدة يقولها اثنان، يريد منها أحدهما أعظم الباطل، ويريد بها الآخر محض الحق، والاعتبار بطريقة القائل وسيرته ومذهبه وما يدعو إليه وينظر عليه!!]²

مغالطة وقياس مع الفارق:

— قال:

ونسأل في بلادنا — وبعض البلاد من أمثالنا — أولئك الذين يطالبون تحت شعار (الإصلاح) بما يُسمى (الملكية الدستورية): هل تستطيعون (!) مطالبة أوليائكم (!) من شيعة إيران! بالتخلي عن مبدأ (ولاية الفقيه) — المقدس — عندهم .

1 سلسلة الأحاديث الصحيحة (1020)

2 [مدارج السالكين 521]

• التعليق:

إنَّ المتظاهرين اليوم في الساحات يُطالبون بالإصلاح في بلادهم لا في بلادٍ غيرهم، ولكن يبدو أنَّ معركة المؤلف هي مع فئةٍ محدودةٍ من المسلمين، حاضرةٍ في ذهنه، فيستدعيهم بمناسبةٍ وبغير مناسبةٍ.

ولو أنَّهم طالبوا بذلك في أي بلدٍ مسلم فلا حرجَ عندنا، فهي بلاد الله، وصدقَ القائل:

بـلاد الله أوطاني	من الشام لبغدان
ومن نجدٍ إلى يمن	إلى مصرَ فتطوان
ومن قدسٍ إلى كركٍ	ومن يافا لعمّان

الشباب وثورتهم

– قال:

[أما (الشباب) وهم الذين نُسبت إليهم (جميع) هذه الثورات، حتّى قيل:
(ثورة الشباب) فلا أقول (لهم = فيهم) ناصحاً ومذكّراً إلا ما قال الأوّل –
ولنعم ما قال :

إنّ الشبابَ والفراغَ والجدة مفسدة للمرء أي مفسدة

فكيف إذا اجتمعت – ثلاثتها ؟]

• التعليق :

لقد كشفَ لنا المؤلّفُ هنا عن سرِّ خطيرٍ لم يخطرُ ببال أحد.

وهو أنّ الدافعَ للشبابِ على ثوراتهم، ثلاثة أمورٍ مجتمعة، منها الفراغُ،
فهم ليس لديهم ما يملئون به أوقاتهم ففكّروا بهذه المغامرات وعرضوا أنفسهم
للموتِ لأجل ملء الفراغ!

و منها أنهم من أهل (الجدة) والمالِ والثروة، فأوضاعهم الاقتصادية على
ما يُرام، ولا يدرون ماذا يصنعون بالمال! ولا يعانون بطالة ولا فقراً، والوظائفُ

متوفرة، والرواتب مجزية، فلم يجدوا متعة يُنفقون فيها أموالهم مثل هذا العمل الترفيهي في الميادين العامة!

إنَّ الخطاب بهذه اللهجة التسفيهية التجهيلية سوف يُفقدُ الشعوبِ الثِّقَةَ بهذه الفئة ومنهجها وأتباعها يوماً بعدَ يومٍ، عندما تجدُّهم مُنحازينَ إلى الأنظمةِ الفاسدةِ ضدَّهم، فهم لا يُمثِّلونَ نبضَ الشارع، ولا يتحسسونَ معاناتهم، بل يُحقِّرونهم ويتمالئون عليهم!

[من مفاصد المظاهرات]

قال تحت هذا العنوان:

[ولعلَّ من أقوى الكلمات الجامعة في كشفِ (حقيقة) هذه الحوادث والمجريات: ما وصفها - به - بعضُ ذوي الحِصافة - من أهل الصحافة - لما قال - (الذين يعملون على استبدالِ الاستقرارِ بالديموقراطية في العالم العربي قد يُواجهون الآن وضِعاً صعباً، تكونُ خلاصتهُ : أنَّهم فقدوا الاستقرار، ولم يصلوا إلى الديموقراطية .

وقد تُصبحُ حالتُهم حالة الغُرابِ الذي أرادَ أن يصيرَ حمامةً، فلا هو أصبحَ حمامة ؟ ولا بقيَ غراباً.... أثراً مُوجِعاً وبلاءً مُفجعاً].

• التعليق:

مرَّةً أخرى، الهرولةُ إلى الصحافة - يا أصحابَ منهجِ السلفِ الصالح - !!

هل يجوز التعدي على ملايين المسلمين، وتشبيههم بالغربان، لمجرد التقليد لصحفي؟!

ومن هم هؤلاء المجاهيل الذين تستدل بأقوالهم وتُعجبُ بها كل قليل،
أهؤلاء هم مرجعيتك؟

ولكن إذا كان ذوو الصحافة من ذوي الحَصافة، فهؤلاء يجوزُ الاحتجاجُ
بأقوالهم كما هو مقررٌ في (المنهج السلفي)، لاسيما إذا لم يكن ممن لوثت السياسةُ
والإعلامُ فطرته!!

فَرَاةُ ذهاب الأمن والاستقرار:

إنَّ الحكومات والأنظمة تمنُّ على الناس بنعمة الأمن صباح مساء، ولا
شكَّ أنَّ الأمنَ والاستقرارَ من أعظم النعم، ولكن هل هذا موجودٌ في كلِّ
البلدان التي ثارت؟!

هل الأمنُ والاستقرارُ أن تأكلَ وتشربَ وتتمتعَ كالأنعام بالرغم من
شيوع الظلم والقهر والاستبداد وهدر الحقوق والكرامات!!

نعم، الأمنُ أمرٌ مهمٌ ولكن ليس الأمنُ هو كلُّ ما يحتاج إليه الناسُ، ماذا
لو فقدوا كرامتهم؟!

ماذا لو نغصت عليهم الدوائر الأمنيةُ معيشتهم وتدخلت في كلِّ
خصوصيات حياتهم، وساومتهم على عقيدتهم ومبادئهم؟!

ماذا يعني الأمن في ظلّ حالة الطوارئ لعشرات السنين، والاعتقالات
بالشبهة وبدون مذكرة اعتقال، ولأمد مفتوح، وبدون محاكمات، وتعذيب على
أيدي زبانية الأنظمة في غياهب الأقبية وجلدهم كما تُجلد الدواب بل أشد!!
إنّ الحرّ الكريم يقول:

لا تسقني ماء الحياة بذلةٍ ولتسقني بالعز كأس العلقم
ولكن حقاً، ليس من كانت يده في النار كمن يده في "المنسف"¹!
فمن كان يعيش في القصور ويركب أفخم المراكب وتتاح له كل المنابر، قد
لا يشعر حقاً بمُعاناة غيره.

من أصول الفقه والنظر

قال المؤلف تحت هذا العنوان:

[وكلُّ ذا حقٍّ ساطع، وكلامٌ جامع، يُمثّل الحال الواقع، وهو يلتقي -
تماماً - ما قرّره علماء الإسلام منذُ أزمان من أنّ (النظر في مآلات الأفعال مُعتبرٌ
مقصودٌ شرعاً، سواءً كانت الأفعال موافقةً أو مخالفةً].

¹ أكلة أردنية مشهورة.

• التعليق:

لقد قرّنا هذه المسألة في رسالتنا للفريق الأول، وبيّنا أنّ من صفات الحكماء النظر إلى عواقب الأمور ومآلات الأفعال، وهذا لا يعني ألاّ يُقدّم المسلمون على أيّ مشروعٍ تظهر لهم فيه بوادر الخير ويغلب على ظنهم تحقق المصلحة... إلّا إذا تيقنوا المصلحة، وضمنوا النتيجة، فلو كان الأمر كذلك لما جاز أن يُقدّم المسلمون على أيّ مشروعٍ البتة، حيث لا نتائج مضمونة البتة!

إنما قصد العلماء من النظر إلى مآلات الأفعال، الاجتهاد والنظر والمقايضة واتباع السنن التي فيها مقدمات ونتائج، وقد يصيب المجتهد وقد يُخطئ! وعلى المجتهد أن يتقي الله تعالى ما استطاع، ويسدّد ويُقارب ما استطاع، ويستخير الخالق ويستشير أهل الرأي والعلم، وأما النتائج فهي إلى الله تعالى، ولا يستطيع أحدٌ على وجه الأرض أن يجزم بأية نتيجة في أيّ أمرٍ مستقبليٍّ غيبيٍّ.

عندما قاتل الصديق أهل الردّة، هل كان مُتيقّناً من النتيجة؟!

وعندما خرج الحسين بن علي رضي الله عنهما على إمام زمانه، هل كان ضامناً النصر؟!

وعندما ثبت الإمام أحمد في المحنة، مخالفاً وليّ الأمر، هل كان يضمن النتيجة؟!

وكلُّ معركةٍ خاضها المسلمون، حتى عندما كان النبيُّ صلى الله عليه وسلم معهم، لم تكن النتائج مُحَقَّقةً.

ولكننا نسمعُ اليومَ باستمرارِ حملاتٍ شعواءَ من هذا القبيلِ على كلِّ مشروعٍ إصلاحيٍّ وخطَّةٍ رشيدٍ، ترتفعُ فيها عقائرُ القومِ، هل تضمنون النتائجَ؟! فإذا قال لهم الساذجُ: لا نضمَّنُها، قالوا: إذن عليكم أن تتوقفوا .

إذن مكانك سِرْ!! ولنَبْقَ إلى الأبدِ بينَ الحُفَرِ، ولن تقومَ لنا قائمةٌ!!
ومن يَتَهَيَّبْ صعودَ الجبالِ يَعِشْ أبَدَ الدهرِ بينَ الحُفَرِ
ومع ذلك نقول:

لقد نظرنا في مآلاتِ الأفعالِ فوجدنا أنَّ الأمورَ قد آلتْ إلى خيرٍ وصلاحيٍّ وإصلاحٍ، وقد زالَ الكثيرُ من الشرِّ والفسادِ في تلكِ الدولِ التي قامتِ بالثوراتِ، ولا يُنكرُ ذلكَ ذو عَيْنين، وبالطبعِ، نحن لا نقولُ إنَّ المصلحةَ تحقَّقتْ بالكامل ولا المفسدةُ دُفِعتْ بالكامل، وهذا صعبُ المنالِ، بل هو المحالُّ، ونحن نقولُ ما قرَّره العلماءُ أنَّ "ما لا يدركُ كلُّهُ لا يُتركُ جُلُّهُ"

ولا شكَّ أنَّ المسيرةَ تتطلبُ صبراً وجهداً وتعاوناً ومشاركةً من الجميعِ،
ولا شكَّ كذلك أنَّ الإصلاحَ سيأخذُ وقتاً أكبرَ وجهداً أعظمَ مع وجودِ الأصواتِ المُخَذَّلَةِ المُبْطِطَةِ المُعِيقَةِ لِعَجَلَةِ الإصلاحِ والتقدُّمِ .

- قال المؤلف:

[وَمَنْ لَمْ يَتَّعِظْ بِمَاضِيهِ، فَلَنْ يَصْلَحَ حَاضِرُهُ، وَلَنْ يَسْتَفِيدَ مِنْ مُسْتَقْبَلِهِ]

• التعليق:

ومن لم يستفد من المتغيرات حوله ويحسن استغلالها وتوظيفها فلن يصلح حاضره، ولن يتغير إلى الأبد!!

ثم عاد ليستدلّ بكلام للشيخ الألباني - رحمه الله - في أحداث الجزائر قبل عشرين سنة!!

• التعليق:

هل يعني أنّ اجتهاد الشيخ في تلك الواقعة سوف يكون هو الأصلح وهو المقدم إلى قيام الساعة، مهما تغيرت الظروف والأحوال؟!

فإنّه إن كان أصاب في واقعة ما، في ظرف ما، وزمان ما، فهذا لا يُغلق باب الاجتهاد على العلماء بعده في واقعة مشابهة، ولكن ظروفها مختلفة، فهذا الكلام بعيد عن الفقه وعن التأصيل.

وأردكم هنا إلى ما نقلته آنفاً عن الإمام القرّافي وهو قوله:

[فمهما تجدد من العرف اعتبره، ومهما سقط، أسقطه ولا تجمد على المسطور في الكتب طول عمرك، بل إذا جاءك رجل من غير إقليمتك يستفتيك لا

تُجبره على عُرْفِ بلدك والمُقَرَّرِ في كُتُبِكَ، فهذا هو الحقُّ الواضح، والجمود على المنقولاتِ أبداً ضلالٌ في الدين، وجهل بمقاصد علماء المسلمين والسلف الماضين.¹

وإذا تكلمنا في استغلالِ الظروفِ والمتغيّراتِ قالوا: هذا ركوبٌ للموجةِ!
وما الضيرُّ في ركوبِ الموجةِ واغتنامِ الفرصةِ، إذا تحرّكَ الشارعُ مطالباً
بقيمٍ إنسانيةٍ عادلةٍ، نحنُ نؤيِّدها وندعو إليها!
أليست قيماً ساميةً دعا إليها الإسلامُ؟!
أيعقلُ أن يتقدّمَ الجموعُ العلمانيونَ والليبراليونَ والفنانونَ والرياضيونَ
ويتأخّرَ الإسلاميونَ!!
أيعقلُ أن منَ الإسلاميين من لا يرضى أن يتقدّمَ أو يتأخّرَ، بل يضعُ نفسه
في موضعِ الخصمِ ضدهم!!
أيعقلُ أن يتراجعَ العديدُ "إن لم يكن الكلُّ" من أولئك عن مواقفهم
السلبية السابقة، ويبقى بعض الإسلاميين متشبّثين بمواقفهم المُخدّلة للشعوب،
بالرغم من نجاح الثورات، وانكشافِ العورات!!

فتاوى الأئمة في تحريم المظاهرات

ذكر المؤلف تحت هذا العنوان:

[وهذا التأصيل المنضبط هو الذي جعل علماء الإسلام، وأئمة الأعلام
يمنعون - شرعاً - تِلْكُمْ المظاهرات - بأشكالها جميعاً - ذاتاً ونتيجةً - لأسبابٍ
متعددة ذكروها في فتاويهم، وأفصحوا عنها في أحكامهم].

• التعليق:

أين التأصيل؟!

وأين أداة الضبط؟!

بميزان مَنْ ومِعيار مَنْ؟!

(جعل علماء الإسلام وأئمة الأعلام يمنعون تِلْكُمْ المظاهرات إلخ)

وهذا الكلام فيه مجازفة كبيرة، فقد قام بنقل فتوى للشيخ (الألباني) رحمه

الله واكتفى بذلك وكأنها نصٌّ مُنَزَّلٌ! فأين باقي الأئمة الأعلام؟!

ولم يتطرق لأقوال المخالفين من الأئمة الأعلام في زماننا، وكأنَّ المسألة

موضع إجماع، فأين العدل والنصف والتجرد في البحث وتحقيق المسائل.

إلا أن القوم كالعادة، يُهمّشون المخالفين ويُسفّهونهم ولا يرونهم شيئاً أصلاً، وأنا لا أريدُ هنا أن أُحصيَ أسماءَ كلّ العلماء الذين قالوا بأنّ (المظاهرات) هي من الوسائل، وأنها موضعُ نظرٍ واجتهادٍ، وقد أجازها العديدُ منهم بضوابطها المعروفة، فهي ليست توقيفية!!

وعلى رأس هؤلاء في الأردن "العالم الربانيّ الأستاذ الدكتور" عمر الأشقر "والفقيه الربانيّ الأستاذ الدكتور" محمد نعيم ياسين " وغيرهم كثير.

وعلى رأس هؤلاء في العالم الإسلامي، العلامة (محمد بن الحسن ولد الدّودو) وهو من هو في العلم والفضل، وهو الذي تصدّى لمحاورة الغلاة والمتطرفين (التكفيريين) في بلاده وردّ العديد منهم إلى الحقّ والرشد

فلا أراكم تقولون أنه ممن تعوزهم الحكمة والعقلانية!

سؤال مُحرّج، وحوار مُنتج:

ما تقولون في فتاوى هؤلاء العلماء بجواز التظاهرات السلمية المنضبطة؟

أنتم هنا أمام أمرين، إما أن تقولوا "أنهم ليسوا بعلماء" فتكونون قد كذبتهم عند أنفسكم، فمن هم العلماء إن لم يكن هؤلاء العلماء الأجلاء منهم؟! وسيكذّبكم الناس ويردّون أقوالكم.

أو تقولوا إنهم علماء ولكننا لا نتفق معهم في ما ذهبوا إليه في هذه الفتوى،
وهنا أنتم أمام سؤال آخر، هل الاختلاف معهم هنا في أمر اجتهادي يسوغ فيه
الاجتهاد، أم هو أمر قطعي محكم؟

فإن قلتم، في أمر قطعي محكم، فقد نقضتم قولكم، بأنكم تشهدون لهم
بالعلم!

فالقضيّات لا يجهلها طلاب العلم، فضلاً عن العلماء والمفتين.

وإن قلتم هذا الأمر اجتهادي، رجعنا إلى المربع الأول، وقلنا لكم: لا
يجوز الإنكار على المخالف في المسائل الفقهية السائغة فضلاً عن هذا الهجوم
الشرس والاتّهامات بالأوصاف المقذعة، ورمي المخالفين بأنهم خوارج!!

فإن كان لكم رأيٌ مخالف فذاك شأنكم ولن يُنكر عليكم أحد، ولكن
السؤال المهم هنا، لماذا هذا الفريق لا يحتملون الخلاف مع أحدٍ، ويضيقون ذرعاً
بكل من خالفهم ويرمونه بالعظائم؟!

فلا يكادون يرضون عن أحدٍ، والجميع لديهم منتقد، ولم يفهم المنهج
السلفي إلا هم!!

بل حتّى من كان من رؤوس دعائهم، إذا خالفهم في أمر ما أخرجوه من
المنهج!!

أنا أقول هنا، أنهم حقيقة أمام مشكل كبير يستلزم منهم مراجعات صادقة مع أنفسهم، وإعادة النظر في بعض اجتهاداتهم.

– قال:

[فلا يكون تغيير المجتمع – في النظام الإسلامي – بالهتافات وبالصيحات، بالتظاهرات وإنما يكون ذلك بالصمت، وبث العلم بين المسلمين، وتربيتهم على هذا الإسلام، حتى تُؤتي هذه التربية أكلها – ولو بعد زمن بعيد].

• التعليق:

إذن:

صوموا ولا تتكلموا.. إنَّ الكلام محرَّم ناموا ولا تستيقظوا .. ما فازَ إلا النُّومُ

– وقال بعدها:

فالوسائل التربوية في الشريعة الإسلامية تختلف كُلَّ الاختلاف عن الوسائل التربوية في الدول الكافرة .

• التعليق:

"الحكمة ضالة المؤمن أتى وجدها فهو أحقُّ بها!"

و"الوسائل لها أحكام المقاصد"

فما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، وما لا يتم المندوب إلا به فهو مندوب، وما لا يتم دفع الحرام إلا به فهو واجب، وهكذا.

ونكرر .. هذه وسائل اجتهادية لا توقيفية، وهي من المصالح المرسلة.

ثم انظر إلى التوصيف!

[لهذا أقول باختصار: إن التظاهرات التي تقع في بعض البلاد الإسلامية أصلاً: هي خروج عن طريق المسلمين، وتشبه بالكافرين، وقد قال رب العالمين:

﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ

تُولَّوْا مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء]

أنظر أيها القارئ الكريم إلى تنزيل هذه الآية على الواقع!

إن الذين يخرجون في التظاهرات المطالبة بالإصلاح اليوم، وقد ذاقوا الولايات من أنظمتهم، ولم يحملوا السلاح، كل هؤلاء جميعاً خارجون عن طريق المسلمين، مُشَاقِّقُونَ لِلرَّسُولِ الْأَمِينِ، متشبهون بالكافرين، ويصدق عليهم قوله تعالى:

﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ

تُولَّوْا مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء]

أليست هذه الإسقاطات مجازفة في الحكم وتحقيق مناطه؟!

أليس في ذلك جنوحٌ إلى تكفير الملايين من المسلمين وتوعدهم بجهنم؟!!

وقد نزلت الآية في الكافرين لا المسلمين !!

أين التحذير من فتنة التكفير؟!!

فيلزمهم بذلك تكفير المتظاهرين من أبناء المسلمين لذات فعل التظاهر!

ولكننا لا نلزمهم به، ف (لازم القول ليس بقول)

ونقول أيضاً:

هل كلام الإمام الألباني نصٌ مقدسٌ يُستدلُّ به؟!!

إنَّ من القواعد المقررة (أنَّ كلام العلماء يُستدلُّ له ولا يُستدلُّ به)!

ثم إنَّ جميع فتاوى علماء بلاد الحرمين (وفيهم أئمة ربانيون) بحُرمة المظاهرات في بلادهم مقبولة، لأنَّ الظروف مختلفة والفئة المستفيدة منها كذلك مختلفة!

ونحنُ نتفق معهم تماماً على حُرمة المظاهرات في (بلاد الحرمين)، وبلاد البحرين)، وكلِّ بلدٍ يُمكن للفرق الضالَّة (كالشيعة) أن تستغلَّ فيها الظرف ليُخرجوا على النظام! وكما حصل بالفعل، فهؤلاء الشيعة هم (أجندات) إيرانية واضحة، ومشاريع (صفوية) فاضحة، وقد خرجوا يحملون صورَ إمامهم

(الخميني) و(أحمدي نجاد) فوق رؤوسهم، وشعاراتهم (يا لثارات الحسين)،
وولاؤهم للثورة الفارسية الشيعية فحسب!

ولقد رأينا الشيعة عندما تولّوا الحكم في العراق ماذا صنعوا من فسادٍ
وقتلٍ وتهجيرٍ لأهل السنة!

فنحن نتفق مع هؤلاء العلماء تماماً لهذه الأسباب والظروف، ولا نتفق
معهم في تحريم المظاهرات السلمية من حيث الأصل، لأن هذه المفسدة ليست
واردة، والمصلحة مُحَقَّقَةٌ في العديد من البلدان، وهذه هي الحكمة التي ندعو
إلى التحلي بها، ونحن هنا لا نكيل بمكيالين، وإنما نعمل القواعد الشرعية كما
ينبغي، والقاعدة هنا هي:

(قاعدة "سد الذرائع" [I])

إن أهل السنة لديهم القدرة على الحكم في بلد فيه أقلية شيعية، وقادرون
على استيعابهم وعدم ظلمهم، أما الشيعة فليس لديهم القدرة على فعل ذلك،
ومثاله المشهد العراقي والإيراني.

فاليهود في إيران لديهم مَنْ يُمثِّلُهُم في (البرلمان) وليس لأهل السنة من
يمثلهم فيه !!

ولليهود معابدهم الخاصة التي يُقيمون فيها طقوسهم، وليس في كل إيران
مسجدٌ لأهل السنة والجماعة !!

إنهم يمنعون في (دوائر الأحوال المدنية) تسجيل أسماء مثل؛ بكر، عمر،
عثمان، عائشة!

فهل تحريم المظاهرات لهذه الملابس مبرر أم لا ؟!

وتأمل في قوله:

[فالسائل التربوية في الشريعة الإسلامية تختلف كُُل الاختلاف عن
الوسائل التربوية في الدول الكافرة].

التعليق:

هل استخدام شاشات العرض في المدارس والجامعات في الدول
الإسلامية، من الوسائل التربوية التي تستخدمها الدول الكافرة؟

هل وهل وهل؟

أليست الوسائل التربوية في مدارسنا وجامعاتنا تُحاكي في أنظمتها
ولوائحها الداخلية وأنظمة الامتحانات والشهادات الأكاديمية ومدّة الدراسة و
و الدول الكافرة؟

أليست كلّها وفق منهجية الدول الكافرة ؟ ولا تُعتمد رسمياً إلا من
الدول الكافرة؟

فما الصّرر في ذلك ؟!!

ثم إنَّ حديثنا هنا ليس عن وسائلِ التربية، ولكنَّه عن وسائلِ التغيير والإصلاح!!

وبالمناسبة: فأنا لا أريد هنا أن أُنَاقِشَ حكمَ (المظاهرات) فهذا له موضعٌ آخر ليس أوانه.

– قال:

[مع التنبيه والتنبه إلى أنَّ تاريخ هذه الفتوى قديمٌ – جداً – قبل وفاة شيخنا الإمام الألباني – رحمه الله – منذُ عشر سنوات – بأكثرَ من عشر سنوات، أي: قبل هذه المُتغيِّرات السياسية العصرية – كُلِّها – وآثارها وتقلُّباتها جميعاً].

• التعليق:

أذكرُ هنا بما نقلته عن الإمام القرّافي مرّةً أخرى وهو قوله:

[فَمَهْمَا تَجِدُ مِنَ الْعُرْفِ اعْتَبِرْهُ، وَمَهْمَا سَقَطَ أَسْقِطْهُ وَلَا تَجْمَدَ عَلَى الْمَسْطُورِ فِي الْكُتُبِ طَوَلَ عُمُرِكَ، بَلْ إِذَا جَاءَكَ رَجُلٌ مِنْ غَيْرِ إِقْلِيمِكَ يَسْتَفْتِيكَ لَا تُجِبِرْهُ عَلَى عُرْفِ بَلَدِكَ وَالْمُقَرَّرِ فِي كُتُبِكَ، فَهَذَا هُوَ الْحَقُّ الْوَاضِحُ، وَالْجُمُودُ عَلَى الْمُنْقُولَاتِ أَبَدٌ ضَلَالٌ فِي الدِّينِ، وَجَهْلٌ بِمَقَاصِدِ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَالسَّلَفِ الْمَاضِينَ]

– قال:

وأنبئه هنا على أمرين :

الأول: ما جرى - أو مايجري - من (اعتصام) أو (مُظاهرة) أو (إضراب) لا فزق - هو سببٌ مباشر - وقويٌّ - جداً - في تعطيل مصالح المجتمع (الكبرى) المقطوع بوجودها في سبيل تحقيق مصالح أفراد - أو فئات - يُطلَب وجودها .

فليس إذهابُ المُحقِّق من المصالح، بسبب المطالبة بالْمَظنون منها: بأقلَّ شراً ... بل هو- والله - أكثرُ شراً، وأشدُّ ضرراً.

• التعليق :

أولاً: هذه مغالطةٌ كُبرى، فلو كانت المظاهرات تُطالبُ بمصالحٍ فرديةٍ أو فتويةٍ لما احتشدت هذه الحشودُ المليونية.

ثانياً: هلاً ذكرت لنا مثلاً واحداً من خلال الشعارات التي رفعها المتظاهرون أو تصريحات القيادات في الثورات تُعزِّزُ بها هذا الادعاء؟
لقد كنا وما زلنا نسمعُ عشراتِ الهتافاتِ والشعارات وليس فيها شيء مما تزعم.

ثالثاً: الواقعُ الفعليُّ ماذا يقولُ؟

من الذي استفادَ في النهاية؟

وهل تحقَّقت مَصالحُ فتويةٍ أم مصالحُ جماعيةٍ!!

إسقاط جائر على الواقع مرة أخرى !!

[قال تحت عنوان (فاعتبروا يا أولي الأبصار)

قال الإمام ابن كثير في (البداية والنهاية) (10-295)

ذكر ابن جرير: أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ اسْتَدْعَى الْأَشْجَرَ النَّخَعِيَّ وَوَضَعَتْ
لِعُثْمَانَ وَسَادَةً فِي كُوَّةٍ مِنْ دَارِهِ فَأَشْرَفَ عَلَى النَّاسِ .

فقال له عثمان : يا أشتر، ماذا يُريدون ؟ فقال : إنهم يريدون منك :

- إِمَّا أَنْ تَعْزِلَ نَفْسَكَ عَنِ الْإِمْرَةِ .

وإِمَّا أَنْ تُقَيِّدَ مِنْ نَفْسِكَ مَنْ قَدْ ضَرَبَتْهُ ، أَوْ جَلَدَتْهُ ، أَوْ حَبَسَتْهُ .

وإِمَّا أَنْ يَقْتُلُوكَ ... القصة)]

• التعليق:

أليس من الظلم العظيم أن يُساوى هؤلاء الحكام القاسطون، المحاربون
لله ورسوله، كحاكم تونس وحاكم ليبيا، بعثمان بن عفان رضي الله عنه؟!

أن يُشَبَّه هؤلاء المتظاهرون بِصُدُورِهِمُ الْعَارِيَةِ ولم يحملوا السلاح
ويقولون " سلمية ... سلمية " بالخوارج الذين خرجوا على عثمان وقاتلوه
واستحلّوا دمه ودم من وقف إلى جانبه من الصحابة!
وهؤلاء القوم هم من راع الناس وسقطتهم.

إِنَّ القميصَ الذي أبى أن ينزعه عثمانُ رضي الله عنه، قد نهاه عن نزعه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، ثم إنَّ فساد هؤلاء في الأرضِ متحقِّقٌ فهم يُريدون استبدالَ صلاحِ عثمانَ رضي الله عنه بسقطتهم !

عثمانُ ذو النورين المبشِّرُ بالجنة هو من أوائل العشرة، مُجهِّزُ جيش العُسرة، من قال فيه عليه الصلاة والسلام :

(ما ضرَّ عثمانُ ما فعلَ بعدَ اليوم)

فهو يحملُ شهاداتِ تزكيةٍ مصدَّقةً من أعلى الجهات.

فهل من أحدٍ ممَّن تُدافعُ عنهم يحملُ هذه التزكيات والشهادات ؟!

إنَّ الذين خرجوا في الميادين يمثلون كافة شرائح المجتمع، ومنهم العلماء والدعاة والمصلحون والمدرسون والأطباء والشعراء والمثقفون والمهندسون وأساتذة الجامعات وطلابها والقضاة والحقوقيون و..... إلخ، دون أن استثنى أحداً، وعامتهم من أهل الإسلام المحبِّين للدين، ورأينا مظاهر ذلك في صلاة الجمعة والجماعات عندما تضيق بهم الساحات والميادين .

ونحنُ لا نقولُ هؤلاء صفوةُ الأمة وخيرتها، ولا نُغالي فيهم، ولكن نقول هؤلاء، من شرفاء الأمة وهم يُمثِّلون جماهير الأمة بكافة فئاتها، فنحن نقدِّرهم ونحترمهم وأنتم تُسفِّهونهم وتحتقرونهم، وتُشبِّهونهم بالخوارج على أمير المؤمنين الخليفة الراشد عثمان بن عفان - رضي الله عنه - !!

قال المؤلف:

[وليس بخافٍ ما جرى - ولا يزال يجري في مصر بعد هذه (الثورة)
الجديدة الأخيرة !].

فقد عيّن (المجلس الأعلى للقوّات المسلّحة) الدكتور عصام شرف، ليكونَ
بذلك أوّل رئيس للوزراء بعد (الثورة).

ثمّ نزلَ الرئيسُ الجديد فوراً إلى (ميدان التحرير) وهو موقع ابتداءِ
المظاهرات، وانتهاء الثورة في آنٍ لِيُباعِ المتظاهرين والثوار.

ثمّ بعد أسابيع قليلة جداً وفي قرارٍ من أوّل قراراته الرئاسية خالفَ فيه
أهواءَ المتظاهرين وآراءَ الثوار خرجوا أيضاً متظاهرين مُحْتَشِدِينَ ثائرين في
(ميدان التحرير) نفسه - هاتفين مردّدين (يا عصام .. يا عصام ... أنت جئتَ
باعتصام) ...]

• التعليق:

إنّ المؤلفَ يسوقُ هذه الواقعةَ باعتبارها ظاهرةً مرّضيّةً ونحنُ ننظرُ إليها
على أنّها ظاهرةٌ صحيّةٌ، بل صحيّةٌ جداً، فإننا لم نكن نحلمُ بأن نشهدَ الزمانَ
الذي تقولُ فيه الأُمّةُ لِمَنْ يَحْكُمُها: لا تخرجَ عن روحِ مطالبِ الأُمّةِ ولا تخرجَ عن
سياقِ الرأي العام، وإذا اخطأَ تقولُ له أخطأتَ.

مَنْ كَانَ يَجْرُؤُ أَنْ يَقُولَ ذَلِكَ لِلرَّئِيسِ الْمَخْلُوعِ أَوْ أَحَدِ وَزَرَائِهِ أَوْ أَيِّ
مَسْئُولٍ فِي الدَّوْلَةِ ؟!

هل كان أحدٌ يستطيعُ أن ينتقدَ مسؤولاً في الدولة ؟!
كُلُّ هَؤُلَاءِ كَانَتْ تُحِيطُ بِهِمْ هَالَاتٌ مِنَ الْقُدْسِيَّةِ، وَالنَّاسُ فِي رُغْبٍ مِنْ
بَطْشِهِمْ وَإِرْهَابِهِمْ، وَلَمْ تَكُنِ الشُّعُوبُ تُحْسِنُ سِوَى التَّصْفِيقِ (بِكَافَّةِ أَشْكَالِهِ،
الْمُتَوَاصِلِ وَالْمُتَقَطِّعِ)!!

أَمَّا الْآنَ فَقَدْ سَقَطَ حَاجِزُ الرَّهْبَةِ، وَسَقَطَتِ هَالَاتُ التَّقْدِيسِ لِلبَشَرِ،
الَّذِينَ اعْتَقَدُوا فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ أَنَّهُمْ يَمْلِكُونَ الْبِلَادَ، وَرِقَابَ الْعِبَادِ! وَصَارَتْ
الْأُمَّةُ تَجْرُؤُ عَلَى أَنْ تَنْتَقِدَ مِنْ يَحْكُمُهَا وَبِالطَّرِيقِ الْحَكِيمَةِ وَالْعَقْلَانِيَّةِ وَمِنْ غَيْرِ
سَفْكِ دِمَاءٍ وَفِتْنٍ هُوَجَاءٍ، فَالْحَاكِمُ لَا يُمَثِّلُ نَفْسَهُ بَلْ يُمَثِّلُ إِرَادَةَ مَنْ جَاءَ بِهِ
وَرَشَّحَهُ لِلْقِيَامِ بِمَصَالِحِهِ!

فِيَا عَجَبًا، كَيْفَ تَنْقَلِبُ الْحَسَنَاتُ إِلَى سَيِّئَاتٍ لِأَنَّهَا لَا تَتَّفِقُ مَعَ الْمَنْهَجِ !!

قال في عنوان جديد (اللهم احفظ بلادنا) :

• التعليق:

هَذِهِ مِنَ الْمَزَايِدَاتِ عَلَى حُبِّ الْبِلَادِ وَالْحَرَصِ عَلَى مَصَالِحِهَا وَأَمْنِهَا، وَكَأَنَّ
الْمُخَالَفِينَ الَّذِينَ يَطَالِبُونَ بِالْإِصْلَاحِ هُمْ أَعْدَاءُ لِلْبِلَادِ، وَيُرِيدُونَ نَشْرَ الشَّرِّ
وَالْفُسَادِ !!

وكلّ من طالب بالإصلاح فهو من دُعاة الفتنّة لدى هؤلاء !!

ثم ساق رواية عن الإمام أبي بكر الخلال في (كتاب السنة) / 89 :

"أخبرني محمد بن أبي هارون، ومحمد بن جعفر، أنّ أبا الحارث حدّثهم، قال: سألت أبا عبد الله [أحمد بن حنبل] في أمرٍ كان حدث ببغداد - وهمّ قومٌ بالخروج -، فقلت: يا أبا عبد الله، ما تقول في الخروج مع هؤلاء القوم؟ فأنكر ذلك عليهم، وجعل يقول: سبحان الله! الدماء، الدماء، لا أرى ذلك ولا أمر به، الصبر على ما نحن فيه خيرٌ من الفتنة؛ يُسفك فيها الدماء، ويُستباح فيها الأموال، ويُنتهك فيها المحارم.... أما علمت ما كان الناس فيه - يعني: أيام الفتنة - ؟! قلت: والناس - اليوم -، أليس في فتنةٍ - يا أبا عبد الله - ؟

قال: وإن كان؛ فإنما هي فتنةٌ خاصّةٌ، فإذا وقع السيفُ عمّت الفتنةُ، وانقطعت السبلُ..."

• التعليق:

المزيد من الإسقاطات!!

هل قرأتم (وهمّ قوم بالخروج) فقلت ما تقول في (الخروج) مع هؤلاء؟

أرأيتم كيف يجعل (الخروج) إلى المظاهرات ك (الخروج) بالسيف !!

وفي آخر الرواية (فإذا وقع ((السيف)) عمّت الفتن وانقطعت السبل)

حدود الطاعة وضوابطها:

قال تحت هذا العنوان:

فقد روى الإمام مسلم في "صحيحه" (1854) عن أم سلمة - زوج النبي صلى الله عليه وسلم، عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: "إنه يستعمل عليكم أمراء، فتعرفون و تنكرون؛ فمن كره فقد برئ، ومن أنكر فقد سلم، ولكن من رضي وتابع".

- قالوا: يا رسول الله! ألا نقاتلهم؟

- قال: "لا، ما صلوا"

أي: من كره بقلبه، وأنكر بقلبه.

• التعليق:

انتبهوا إلى تعليق المؤلف على الرواية!

قال: أي من كره (بقلبه) وأنكر (بقلبه)!

من أين أتيت بهذا التخصيص (وأنكر بقلبه)!!

فلفظ أنكر لفظ مجمل، بيّنه الحديث الآخر وهو قوله صلى الله عليه وسلم:

(من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فمن لم يستطيع فبلسانه، فمن لم يستطيع فبقليه، وذلك أضعف الإيمان)¹

أم أن هذا الحديث عندك لا يعمل هنا ؟!

ويحق لكل مسلم أن يسأل هنا، في ضوء هذا الحديث كيف نفهم الأحاديث التالية ؟؟

(سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله)²

وحديث ((إِنْ مِنْ أَعْظَمِ الْجِهَادِ كَلِمَةً عَدْلٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ))³

نصيحة من القلب.

قال تحت هذا العنوان:

[وإنني لأهتبلها - هنا - فرصة ؛ لأذكر كل ذي مسؤولية - وبخاصة (أولياء الأمور) - بأمانة الحكم بالشرعية، وحكم الأمانة الرفيعة؛ فالأمر جلل، والشأن إدُّ؛ فليس ثمة إلا جنة أو نار]

ثم وجه نصائح إلى أولياء الأمور ومنها حديث

1 رواه مسلم وأحمد والنسائي والترمذي وأبو داود

2 السلسلة الصحيحة - مختصرة - (1 / 716)

3 (صحيح الجامع) حديث رقم: (2209)

"اللهم! من ولي من أمر أمتي شيئا، فشق عليهم؛ فأشقق عليه، و من ولي من أمر أمتي شيئا؛ فرفق بهم ؛ فارفق به".

قال: وقال العلامة المناوي في "فيض القدير" (2/ 106) -شارحا:

["فأشقق عليه"؛ أي: أوقعه في المشقة، ﴿جزاء وفاقا﴾ "و من ولي من أمر أمتي شيئا فرفق بهم"، أي: عاملهم باللين، والإحسان، و الشفقة.

"فارفق به"؛ أي: افعل به ما فيه الرفق له؛ مجازاة له بمثل فعله.

و هذا دعاء مجاب، و قضية لا يشك في حقيقتها عاقل -و لا يرتاب-؛ فقلما ترى ذا ولاية عسَفَ، و جار، و عامل عباد الله بالعتو والاستكبار؛ إلا و كان آخر أمره الوبال، و انعكاس الأحوال، فإن لم يعاقب بذلك في الدنيا: قصرت مدته، و عجل بروحه إلى بئس المستقر سقر

ولهذا قالوا: الظلم لا يدوم، وإن دام دمر، والعدل لا يدوم، وإن دام عمر.

وهذا-كما ترى - أبلغ زجر عن المشقة على الناس، و أعظم حث على الرفق بهم.

وقد تظاهرت على ذلك الآيات و الأخبار".

وذكر كلاماً لشيخ الإسلام ابن تيمية تحت عنوان بين العدل والظلم قال

فيه:

[وَأُمُورُ النَّاسِ تَسْتَقِيمُ فِي الدُّنْيَا مَعَ الْعَدْلِ - الَّذِي فِيهِ الْإِشْتِرَاكُ فِي أَنْوَاعِ
الْإِثْمِ - : أَكْثَرُ مِمَّا تَسْتَقِيمُ مَعَ الظُّلْمِ فِي الْحُقُوقِ - وَ إِنْ لَمْ تَشْتَرِكْ فِي إِثْمِ - .

وَهَذَا قِيلَ : (إِنَّ اللَّهَ يُقِيمُ الدَّوْلَةَ الْعَادِلَةَ وَإِنْ كَانَتْ كَافِرَةً ، وَلَا يُقِيمُ الظَّالِمَةَ
وَإِنْ كَانَتْ مُسْلِمَةً) ...]

• التعليق:

الاستشهاد بمثل هذه النصوص، يُسرُّنا، ولا يُضرُّنا.

أنتم متفقون على أنَّ هذه الأنظمة التي تُدافعون عنها أنظمة ظالمة مع
الحكم بإسلامها، وأنَّ سنَّة الله في عبادِهِ ألاَّ يُقيمَ الدولة الظالمة ولو كانت مسلمة،
فهل أنتم تريدون أن تحولوا بينها وبين إرادة الله وسننه بتغييرها؟!!

فلا أنتم موافقون للسنن الشرعية، ولا أنتم موافقون للسنن العرفية، ولا
أنتم موافقون كذلك للسنن القدرية!!

تكامل لا تآكل

قال تحت هذا العنوان:

[وعليه ؛ فَإِنَّ الْأَصْلَ فِي عُمُومِ الْأُمَّةِ - شُعوباً وَ حُكَّاماً - أَنْ يَكُونُوا فِي
إِطَارِ التَّكَامُلِ ، لَا فِي مَدَارِ التَّأْكُلِ ؛ فَيَكُونُ بَعْضُهُمْ مُتَرَبِّصاً بِبَعْضٍ ! أَوْ مُتَرَصِّداً

لبعض! مما يؤدي - و لا بد - إلى فساد شامل عريض، و مجتمع متفكك مريض؛
قائم على الحلل و التحريض ...]

• التعليق:

هذا العنوان يُذكرني بخطبة خطبتها بعنوان (نتكامل أو نتآكل) قبل نحو
عشر سنوات، وخلاصة ما قلته آنذاك: "ينبغي أن تتضافر جهود العاملين
للإسلام وإن اختلفت أساليبهم ووسائلهم، وأن الميدان الدعوي يتسع للجميع،
وينبغي أن يتعاون الكل مع الكل لا أن يسقط الكل الكل، فتآكل ونتلاشى،
ولا يسلم للناس قدوة صالحة يقتدون بها ولا عالم يتبعونه ولا مصلح يستمعون
إليه " .

لقد استخدم المؤلف ذات العبارة ولكن، بأي معنى للتكامل والتآكل !!؟

(شعوباً وحكاماً) ويعني هذا أن الشعوب لا تتربص بالحكام ولا
تتصيد غيوبها، لأن هذا يؤدي إلى التآكل؛

[.....مجتمع متفكك مريض؛ قائم على الحلل و التحريض ...]

• التعليق:

لكن أن يكون التحريض على المخالفين من الدعاة والعلماء والمصلحين،
والوشاية بهم وإعانة الظالمين على إيذائهم، فهذا كله جائز لا حرج فيه، وهذا
ليس من التآكل في شيء !!

وتصنيف العلماء والدعاة والمصلحين بالظن لا باليقين!

واتهام نواياهم وإسقاطهم من أعين الناس!

فهذا لا يؤدي إلى التآكل!!

لأن هذا تحذير من أهل البدع الذين لديهم خرق في المنهج!!!

أما نقد أولياء الأمور إذا ارتكبوا الفظائع والعظائم، ومطالبتهم بالإصلاح بالطرق والوسائل السلمية والحضارية، والتي يُحيزونها في دساتيرهم، فهذا خروج وهذا تآكل!!

فيجب حينئذ التغيير عن طريق خطة (شرعية) قدمها المؤلف وهي

[الصمت]!

لكي يتكامل دور الشعوب والحكّام!

لا للاستغلال القبيح:

قال تحت هذا العنوان:

[والذي نراه - ويراه كل ذي عَيْن - بوضوح - أن جميع (!) القائمين

بهذه (المظاهرات) - بكافة أساليبها، وأشكالها! - لا يتجاوبون - من جهتهم! -

مع تجاوب الحكومات والمسؤولين - في بلدانهم - ولو لبعض مطالبهم!

بل تَرَاهُمْ (يَسْتَغْلُونَ!) ذلك التَّجَاوُبَ بتكثيفِ المطالبات، و عَدَم الرِّضَا-
و لا أقول: الاكتفاء! - (!) بآية تغيرات إيجابيات !]

• التعليق:

إنَّ الجماهير عندما ترفعُ سقفَ مطالبها فإنَّما تريدُ بذلك أن تنالَ الحدَّ الأدنى من تلك المطالب، لأنَّهم تَعَوَّدوا على الكذبِ والمُراوغةِ والالتفافِ على المطالبِ وكسبِ الوقتِ، فهم يزعمون أنهم صادقون في إرادة الإصلاح لكنَّهم مع (الإسراع لا التسرع)!!

وعدمُ التسرع هذا قد يعني أنَّهم ربما يحتاجون إلى بضع سنواتٍ أخرى!
ولذلك أقولُ: إنَّ الشعوب لم تعد تثق بتلك الأنظمة الفاسدة، وهم لا يطمئنون إلى الوعود الفارغة ويريدون أن يروا واقعاً إصلاحياً ملموساً قبل أن يرجعوا إلى بيوتهم وتنطفئ جذوة الحماسة في قلوبهم وتتلاشى مع الوقت، وهذا استغلال محمود وليس استغلالاً قبيحاً.

هيبية الدولة وأثارها.

قال تحت هذا العنوان:

فكيف بما هو (أكبر) من ذلك - كيفاً، أو كما - ؟!

و لعلّ مما (قد) يكون فيه عبرة أكثر - و أكثر - أن أسلافنا الصالحين -
رحمهم الله - كانوا - و من خلال النظر في بعض صور تاريخنا الإسلامي البهيج
- يعدّون مجرد (الانبساط) مع الجلساء باباً (يقل من هيبية الحكم) - كما في
كتاب ((رفع الإصر عن قضاة مصر))

• التعليق:

مغالطة عجيبة!!

إنّ الذين أضاعوا هيبية الدولة (بحسب الرواية) هم وزراء أساءوا
السيرة!

ونحن نتفق مع هذا الخبر ومضمونه تماماً.. فإنّ هيبية الدول تضيع عندما
تسوء سيرة القادة والوزراء بالمعاصي والمجون والفساد، وفي التاريخ عبرة!!
ثم قال: يعدّون مجرد الانبساط مع الجلساء باباً يقلّ من هيبية الحكم!!

ولا ريب أنّ هذا من التدليس والتلبيس على القارئ لأنّ هذا الأمر خاصّ بالقضاة الذين يتحاكم الناس لديهم، وهذا معروف من كلام العلماء في أدب القضاء وشروط القاضي، لأنّ انبساطه مع المتخاصمين قد يذهب بهيبة القضاء وقد يعدّ فيه نوع من الانحياز.

هذا الذي أوصى به أهل العلم.

ولعلّ قائلًا يقول: إنّ حفظ هيبة رأس النظام أولى من حفظ هيبة القاضي في الحكم.

والجواب:

إنّ الأمر هنا مختلف فلا قياس، حيث أنّ من يلي أمر المسلمين مأمور بالنصّ بأن يرفق بهم وأن يتواضع لهم وينبسط إليهم بخلاف القاضي المطالب بالحزم والجديّة وترك ما يُظنّ أنّه محاباة للمتحاكمين.

وهذه سيرة إمام المؤمنين الأول عليه الصلاة والسلام، كيف كان تعامله مع أتباعه؟

قال تعالى:

﴿فَمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنَّ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ

[آل عمران]

فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ

أعرابي يأخذ بتلابيبه فيتسم، وجارية تأخذ بيده فينقاد لها في حاجتها، ولا يرتفع على الناس في مجلسه ولا في لباسه، ولا يجب أن يتمثل له الناس قياماً، ونهى أن يصنع معه ما يصنعه الناس بملوكهم!

وكان يشاركهم في بناء المسجد، وحفر الخندق، ويقاقل معهم ويخالطهم في شؤونهم!

وهذه سيرة الخلفاء الراشدين، أبي بكر وعمر وعثمان وعلي - رضي الله عنهم، هل كانوا يترفعون على الناس في أبراج عاجية حفاظاً على هيبتهم؟!

نحن (مع) و.... (ضد)!

قال تحت هذا العنوان:

[نعم، نحن مع كل إصلاح رشيد بناء ...

نحن مع الحريات المنضبطة - وفق قواعد الشرع - في سبيل مصلحة الأمة.

نحن مع إعطاء كل ذي حق حقه ...

نحن مع النصيحة الصادقة، و النقد الواثق الصحيح .

و كذلك :

نحن ضد الفساد، و الإفساد و الفاسدين

نحن ضد الاستئثار الباطل المفسد للدين و الدنيا ...

نحن ضد الظلم، و ضد الممارسين له، الملتبسين به ...

نحن ضد القهر ...

ضد الكبت ...

ضد التسلط ...

• التعليق:

جميل جداً هذا الكلام، فهو يبعث على التفاؤل، ولكن منذ متى كان هذا الخطاب؟!

إنّها لهجةٌ جديدةٌ لم نكن نسمعها، ويُسّرنا والله جداً أن نسمعها، بغَضِّ النظرِ عمّا جاءَ بعدها في "وسائل التغيير وما الذي هو في إطار الشرع وما الذي هو خارج عن إطار الشرع"

فالمهم هنا أننا أصبحنا نسمعُ كلاماً فيه إقرارٌ بأنّ هناك فساداً، وهناك حاجةٌ للإصلاح، وأنّهم ضدُّ الظلم! والاستبداد والكبت والتسلط، وهذه خطوة متقدمة من هذا الفريق.

وانظروا بعدها ماذا يقول!

[فليتذكر الجميع - حكاما و محكومين، شعباً و مسؤولين - هذه النصوص النبوية الغالية - الآتية -، و ليتأملوها - جيداً - و ليراقبوا ربهم في أنفسهم - من خلالها - حتى تستقيم أمورهم، و يسلم مجتمعهم، و يكمل أمنهم و أمانهم، و إيمانهم - متحابين، متآخين، مؤتلفين -، ينبذون المصالح الصغيرة

الضيق، و الأهواء الشخصية، و المواقف الحزبية، و يقدمون المصالح العامة الكبرى، و القواعد الكلية]

وقدّم نصائح عامة للحكام ليبيّن للقارئ أنه لا ينحاز إلى طرفٍ دون طرف، وانه يأمر أولياء الأمور بالإصلاح، فهو كما ينتقد أولئك ينصح أولئك. واستدل بحديث لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

((من تولّى عملاً و هو يعلم أنّه ليس لذلك العمل أهلاً فليتبوأ مقعده من النار))¹

• التعليق:

ما حكمك على ولاة أمور المسلمين اليوم والمسؤولين في الأنظمة الحاكمة؟ هل هم أهل لتلك المناصب أم ليسوا أهلاً لها؟ وهل يشملهم هذا الحديث أم لا؟ إن قلت لا فقد بطلت انتقاداتك السابقة لهم، وكونك ضدّ الكُبت والاستبداد لا يعينهم.

وإن قلت: نعم، فأنت تقول لهم: تبوءوا مقعدكم من النار!

1 رواه الوياي في (مسنده) (495).

ثم قال بعدها:

نعم، لهؤلاء - جميعاً - من حاكم ظالم، أو عدو غاشم - مكر يمكرونة، و
بلاء يقدمونه، وفساد يورثونه - ولا شك - ...

• التعليق:

هذه والله كلمة حق، وقد أمرنا بالإنصاف.

ثم قال:

[لكن السبب (الرئيس)، والعامل (الأساس) هو: (نحن)، و (انتم)!]

أم .. (هم)، و (أولئك)!!

• التعليق:

وهذا صحيح، والله تعالى قال:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد]

وقد استشهد المؤلف بهذه الآية على أنها سبيل التغيير.

ولأجل ذلك أرادت الشعوب أن تُغَيَّرَ الواقع بتغيير ما في أنفسهم من
جبنٍ وذُلٍّ واستكانةٍ للظلم والطغيان وضائقَ ذرعاً بالعبودية للفرد، وأرادت
أن تَضَعَ حداً للفساد والإفساد، فهبَّت إلى الميادين وكانت النتيجة أن حصل
التغيير المنشود بالفعل في أكثر من موقع لحد الآن.

والحرية لها ثمن، والكرامة لها ثمن، والإصلاح له ثمن، وقد دفعوا الثمن
من أرواحهم وأجسادهم وأوقاتهم وأموالهم وكل طاقاتهم، ولم ينتظروا أن ينزل
عليهم الفرج بدون بذل أسبابه، بل بذلوا له كل سبب ممكن

﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [١٣٦]

وإن ما تدفعه الشعوب من ثمن ضريبة على الذلّ هو أعظم والله من الثمن
الذي تدفعه ضريبة لنيل حريتها وكرامتها!!
وقد ذمّ الله تعالى آل فرعون بقوله:

﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ، فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ﴾ [الزخرف]

قال (أنا ربكم الأعلى)، فطأطأوا له رؤوسهم، فتعسأ لهم وأضلّ أعمالهم.
وأما في الآخرة

﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾ [هود]

واجب الوقت

قال تحت هذا العنوان:

ونبيننا صلى الله عليه وسلم يقول: ((طوبى للغرباء أناس صالحون قليل في أناس سوء كثير، من يعصيههم أكثر ممن يطيعهم))¹

• التعليق:

عندما يسوق المؤلف مثل هذا الحديث لا شك أنه يستدلُّ به لصالحه، ويسحبُه على نفسه وفِئته، بأنهم هم الغرباء وأنهم أناس صالحون قليل، يريدون الإصلاح، ولكنَّ الكثرة لا ينقادون لهم لأنهم همج رعا، وهي ذات الإسقاطات المنتقدة.

ألا ترون أنَّ هذا الحديث يمكن أن يستدلَّ به كلُّ من يرى أنَّ فئته لا تمثل السَّواد الأعظم في الناس كـ "الأحباش" أو "حزب التحرير" أو "التكفير والهجرة" وغيرهم؟!

ثم قال المؤلف:

وصية إمام

[وما أجمل ما قال أستاذنا العلامة الشيخ محمد ابن صالح العثيمين - رحمه الله - في كتابه الضياء اللامع من الخطب الجوامع ((ص 664) - ناصحاً - ((إن نصرنا لله لا يكون بالأقوال البراقة، والخطب الرنانة التي تحول القضية إلى قضية سياسية ! وهزيمة مادية ! ومشكلة إقليمية ! وإنما - والله - لمشكلة دينية إسلامية للعالم الإسلامي - كله - . إن نصر الله عز وجل لا يكون إلا بالإخلاص له والتمسك بدينه - ظاهراً وباطناً-، والاستعانة به، وإعداد القوة المعنوية والحسّية...)).].

● التعليق:

بالله عليكم.. هل هذا النص لصالح المؤلف أم عليه؟! أين هم من إعداد القوة الحسية؟! وهل ينطبق عليهم أنهم من أصحاب الخطب الرنانة البراقة، والكلام المنمق المزوق المسجوع، دون فعال ودون إعدادٍ للقوة؟! ولو تمنع المؤلف في الكلام جيدا لم يسقه، ولم يستدل به، فإنه لا يخدمه بحال.

النصر السريع (١) كيف!

قال تحت هذا العنوان:

أقول:

فكم خُذع أناسٌ بنصرٍ سريع - فيما تَوَهَّمُوهُ! -، أو تَغَيَّرَ مُفَاجِئٌ

- حَسَبَ مَا ظَنُّوهُ -!!

ولكنهم - مَعَ هذا وذاك:

فقدوا الثبات...

فقدوا الأمن..

فقدوا الاستقرار...

فَالَ حَالُهُمْ إِلَى اضْطِرَابٍ وَتِيهِ؛ يَحْتَارُ فِيهِمَا حَتَّى الْفِطْنُ النَّبِيَّةُ!!

و... فليَعْتَبِرْ: مَنْ رَأَى الْعِبْرَةَ بِأَخِيهِ!

• التعليق:

يا سبحان الله، أين الإنصافُ؟!

الناسُ مَخْدُوعُونَ.. نصرٌ كاذِبٌ.. لا أمانٌ.. لا استقرارٌ.. لا ثباتٌ..

اضطرابٌ وتيهٌ.... إلخ!

هل رأيتم؟

هذا كُلُّ ما جَنَّتُهُ الثوراتُ العربيةُ في تونسَ ومصرَ!!

سؤال: ألم ير المؤلف انجازاً واحداً جديراً أن يُذكر ويُشاد به لتلك الثورات؟!؟

إنه يريد أن يغطي الشمس بغربال.

الم تُرفع حالاتُ الطوارئ الغاشمة؟

ألم يطلق سراح المظلومين من إخوانك المسلمين وهم أوف، وقد أمضى بعضهم في السجن ثلاثين عاماً؟

ألم يرجع آلاف المنفيين ولأسباب دينية، إلى أوطانهم وأهليهم وديارهم؟

ألم يُجَلِّ الفسادون والناهبون والمجرمون إلى القضاء؟ وهذا عدل يرضي رب الأرض والسماء.

ألم تعد مصر - ولو بالتدريج - إلى الحاضنة العربية بدل أن تكون حاميةً لحمى اليهود؟

ألم تعد الحرية للمرأة المسلمة في تونس بارتداء حجابها دون تضيق؟ وغير هذا كثير وكثير جداً.

أم أن هؤلاء ليسوا إخواناً لنا، يهْمُننا ما يهمهم ويحزننا ما يحزنهم، ويفرحنا ما يفرحهم؟!؟

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم:

((تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاجُحِهِمْ وَتَوَادُّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجُسَدِ إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَّى))¹.

يقول إنهم فقدوا الاستقرار و..... إلخ

نعم.. لقد كانوا في أمنٍ وأمانٍ واستقرارٍ، وكانوا يأكلون ويشربون وينامون، وحتى يتنفسون الهواء!!!!!!

إلى الصحافة والصحفيين مرة أخرى!!

- قال:

وَرَبُّطًا لِلتَّمْثِيلِ النَّظَرِيِّ بِالْوَقَائِعِ الْعَمَلِيَّةِ؛ أَنْقُلْ - ها هنا - كَلَامَ بَعْضِ ذَوِي الْخَبَرَةِ - مِنْ سَاسَةِ الصَّحَفِيِّينَ، وَصَحَفِيِّ السِّيَاسِيِّينَ - لَمَّا قَالَ -:

((حَتَّى الْآنَ؛ فَإِنَّ مَا يَحُلُّوهُ لِلْبَعْضِ تَسْمِيَّتُهُ: ((الثَّوَرَاتُ الْعَرَبِيَّة)) ! لَمْ يُبْلَوِ أَيْ حَالَةٍ أَفْضَلَ مِنْ سَابِقَتِهَا - حَتَّى فِي تُونِسَ وَمِصْرَ ! -؛ فَالْأُمُورُ لَا تَزَالُ مُرْتَبِكَةً، وَالْمُعَادَلَةُ الْجَدِيدَةُ لَمْ تَسْتَفِرَّ - بَعْدُ - ! وَتُصَاحِبُ هَذَا - كُلَّهُ - عَمَلِيَّاتٌ ثَائِرِيَّةٌ، وَ ((مَكَارِثِيَّة)) [إِرْهَابٌ فِكْرِيٌّ!] رُبَّمَا يَعُودُ مُعْظَمُهَا لِأَسْبَابٍ شَخْصِيَّةٍ، وَبِخَاصَّةٍ عَمَلِيَّاتِ السَّلْبِ وَالنَّهْبِ وَالزَّعْرَنَاتِ [(البَلْطَجَة)] - بِلَهْجَةِ أَهْلِ مِصْرَ - [التي تَجْعَلُ لَيْلَ الْقَاهِرَةِ الْمُتَأَخَّرِ كَوَابِيسَ مُرْعَبَةً تُحَاصِرُ النَّاسَ فِي مَنَازِلِهِمْ

مُنْذُ سَاعَاتِ الْمَسَاءِ الْمُبَكَّرَةِ! فِي مَدِينَةٍ اعْتَادَتْ أَنْ تَبْدَأَ سَهَرَهَا بَعْدَ مُتْتَصِفِ لَيْلٍ كُلِّ لَيْلَةٍ!

إِنَّ هَذَا لَيْسَ حُكْمًا عَلَى هَذِهِ ((الثَّوَرَاتِ الشَّبَابِيَّةِ)) - الَّتِي يَبْدُو أَنَّهَا اخْتُطِفَتْ مِنْهُمْ مُبَكَّرًا؛ لِأَنَّهُمْ - بِالْأَسَاسِ - غَيْرُ قَادِرِينَ عَلَى قِيَادَةِ دَوْلٍ أَوْضَاعُهَا فِي غَايَةِ التَّعْقِيدِ؛ وَالتَّدَاخُلِ؛ وَلِأَنَّهُمْ انْطَلَقُوا بِتَدَايِعِ عَلَى شَاشَاتِ الْ (فَيْس بُوك)، وَبِشَعَارَاتٍ عَامَّةٍ (...). إلخ.

• التعليق:

هَذَا مَجْهُولٌ آخَرٌ مِنَ الْمَجَاهِيلِ!! لَكِنَّهُ مِنَ (الصَّحَفِيِّينَ)!! ذَوِي الْخَبْرَةِ!!
وَهُوَ مِنْ سَاسَةِ الصَّحَفِيِّينَ!!

وَلَكِنْ فَاتَهُ إِنْ يُبَيِّنَ لَنَا هُنَا هَلْ هُوَ مِمَّنْ لَوَّثَتِ السِّيَاسَةُ وَالْإِعْلَامُ فِطْرَتَهُ أَمْ لَا!!

لَقَدْ كَرَّرَ نَقْلَ أَقْوَالِ الصَّحَفِيِّينَ، وَمِنَ الصُّحُفِ الرَّسْمِيَّةِ الْحُكُومِيَّةِ عِدَّةَ مَرَّاتٍ فِي رِسَالَتِهِ هَذِهِ، فَهَلْ نَفْهَمُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ قِرَاءَةَ الصُّحُفِ وَالِاسْتِدْلَالَ بِأَقْوَالِ الصَّحَفِيِّينَ لَمْ يَعُدْ يَقْدَحُ فِي الْمَنْهَجِ السَّلْفِيِّ؟!

هَذَا تَطَوُّرٌ آخَرٌ، وَلَعَلَّهُ مِنْ بَرَكَاتِ هَذِهِ الْحَرَكَاتِ الْإِصْلَاحِيَّةِ.

ثُمَّ، هَلْ هَذَا الْكَلَامُ الْمَنْقُولُ عَنِ الصَّحْفِيِّ الْمَذْكُورِ يُمَثِّلُ قِيَمَةً حَقِيقِيَّةً تَسْتَحِقُّ أَنْ تَنْقَلُ بِهَذَا الْإِعْجَابِ؟

أنا لا أظن ذلك، لأنه ينظر للأحداث بعين واحدة كما هو شأن المؤلف.

وهذه السليبات التي ضخمها، من حالات السلب والنهب والبلطجة، الكل بات يعلم من كان وراءها ومن كان يحركها، ومع ذلك فإن هذه الفترة هي فترة انتقالية استثنائية، وهكذا شأن كل حركات التغيير، لا يتصور العقلاء والحكماء أنها تنتقل بين يوم وليلة من أقصى الفساد والاستبداد إلى أقصى الصلاح والرشاد، فلا بد من مرحلة انتقالية، لا يتوقف فيها العمل والجهد لكي يتم البنيان، حتى دعوات الأنبياء الإصلاحية، عليهم الصلاة والسلام، قد مرت بمراحل من التصفية والغربة حتى قطفوا ثمارها بعد حين،

فلا تستعجلوا، فإن الحكماء لا يستعجلون!

ثم، هل نحن بحاجة في مثل هذا الكتاب، الذي يفترض أن يكون منهجيا - لأن القضية منهجية وحساسة - إلى أن يقحم بين صفحاته هذا القدر من كلام الصحفيين والمجاهيل الذين لا نعرفهم؟!

متى كان السياسيون والصحفيون مرجعيات لأصحاب المنهج السلفي؟!

إنما فعلاً نقولات "مكارثية" ولكن بإسقاط الميم!

إنه تقليد في تقليد!

تغير الأفكار وتغير الأنظار:

قال تحت هذا العنوان:

ولقد رأينا - في أتون هذه الفتن المتسارعة المتصارعة بعض من غير -
فجأة - جلده! وفقد - سريعاً - جلده! وأظهر - بذا وذاك - بعده!! ركباً
الموجة - وبلا أدنى حجة! -؛ ليشارك في هاتيك (المظاهرات) بل لينظمها!
وينظر لها! - هنا، وهناك، وهنالك! - بأفكار تكفيرية مسمومة، وفعائل انفعالية
- يسمونها (جهادية!) - محمومة غارقاً في الفتنة الى أدنيه، بل ساعياً فيها برجله
ويديه!

• التعليق:

إن بعض هؤلاء الذين غيروا جلدهم وفقدوا جلدهم هم من الذين
يمجدون المؤلف ويوقرونه ويعتبرونه شيخاً لهم وهم يفتون الآن بأن الجهاد في
سوريا فرض عين على كل مسلم ضد الحكومة النصيرية الكافرة.¹

وطالب علم آخر هو من كبار تلامذة الشيخ الألباني وأولهم، إبان وجوده
في سوريا، وهو من دعاة الحكمة والمصالحة مع الأنظمة منذ عشرات السنين،
وهو ضد التهيج والعاطفة الزائفة وضد سفك الدماء، له في كل ليلة برنامج

¹ هو الشيخ الداعية (محمد الزغبى)

مباشر على إحدى القنوات الفضائية، ولعدة ساعات متواصلة يُحرّض فيها أهل سورية قاطبةً على الخروج في المظاهرات " السلمية " ولو قُتل منهم مليون - كما يقول - فإنه سيبقى اثنان وعشرون مليوناً، يعيشون بحرية وكرامة، ويتخلّصون من حكم الطاغية!!

وأن الحرية لها ثمن ولا بد من التضحية!!¹

ثم انظر رحمك الله إلى الغلظة في نقد هؤلاء المخالفين!

"راكباً الموجه بلا أدنى حجة"

"بأفكار تكفيرية مسمومة وفعال محمومة"

"غارقاً في الفتنة إلى أذنيه بل ساعياً فيها برجليه ويديه"

فأين النصح لهؤلاء الإخوان؟!

أين الحوار الهادئ معهم، لا سيما أنهم كانوا من المقربين وعلى المنهج قبل

أن يغيروا - فجأة - جلدتهم، ويفقدوا - سريعاً - جلدتهم!!

هلا ترفقت بهم، وأسمعتهم كلمةً حانيةً لعلهم يثوبون إلى رشدهم

ويرجعون عن غيهم!

¹ الشيخ والداعية المعروف (عدنان العرعور) وهو صاحب كتاب (موسوعة التكفير) يرد فيها على الغلاة في

التكفير!!

أم أن النصح والتناصح لفئة دون أخرى؟!

ألا يستحق هؤلاء الرفق واللين؟!

أم أنهم ممن يستحقون أن تُشنَّ عليهم حملات التشنيع والتحريض وربما
الوشاية، لأنهم يحملون أفكاراً (تكفيرية) مسمومة!!

لا (تسييس الدعوة) ولكن:

قال تحت هذا العنوان

وعليه؛ فإنَّ زَعَمَ الزَّاعِمِ - أيَّ كان ! - أو تَوَهَّمَهُ ! - أو تَخَوَّفَهُ ! - حول ما
قد يُسمَّى : (تسييس الدعوة!) : زَعَمَ لا مكان له ! ووَهَمَ لا قيام له!! وتَخَوَّفَ لا
مُسَوِّغَ له !!!

• التعليق:

مرَّةً أخرى:

حلال على بلابله الدَّوْحُ حرام على الطير من كل جنس

فالمؤلف له أن يتكلم في السياسة، ويُنظِّرَ للأمة ويوجِّهَ خطاباتٍ لها (كما
سيأتي)، ويستشهد بأقوال الصحفيين!! والكتاب من أوله إلى آخره في السياسة،
ثمَّ يقول (لا لتسييس الدعوة)!

ونحن بالطبع، لا نرى ضيراً أن يتكلم العلماء والدعاة في شؤون الأمة ومصالحها (بعلمٍ ودرايةٍ) والسياسة الشرعية من الدين، ولكن الضير كل الضير أن تكون مواقف العلماء وفتاواهم مفصلةً حسب الطلب!

ويُستكتبون فيكتبون، حسب الطلب!

ولكن المؤلف هو واحد من فئة تهاجم دائماً من يتكلم في السياسة وفقه الواقع، وتتهم كل من يدخل في الأمور السياسية بأنه يريد تحقيق مكاسب حزبية وفتوية، ومصالح شخصية، ويسمون (فقه الواقع) بـ (الفقه الواقع)، وهو اليوم يتكلم في واقع الأمة السياسي!!

وباختصار:

إن القوم عودونا ألا يتكلموا في الواقع والسياسة، إلا عندما تكون هناك مصلحة موافقة للسياسة!

- قال المؤلف:

[لقد كان للدعوة السلفية - من قبل ومن بعد - مواقف شرعية واضحة - أكاد أقول - في (جميع) الأحداث السياسية المعاصرة - في هذا الزمان الصَّعب - محلياً، وعربياً، وعالمياً - والحمد لله - ثقةً بالله، وتوكلًا عليه وإرضاءً له].

• التعليق:

نعم: لقد كان لهذه الفئة آراء ومواقف "شرعية"!! (واضحة) في "بعض" الأحداث وليس في "جميع" الأحداث (السياسية المعاصرة)، وعندما يؤذن لهم بذلك وبما لا يتعارض مع مصالح الأنظمة السياسية الحاكمة!

ثم إننا اطلعنا على تلك الآراء والمواقف، لقد كانت سلبية بالجملة!

في حرب أفغانستان والشيخان وحرب البوسنة وكوسوفا، وحرب العراق، وموقفهم من هدم طالبان للأصنام في أفغانستان، وسكوتهم الطويل عن المدّ الشيعي في البلاد، وعدم تعرّضهم لهم إلا بعد أن أعطوا الضوء الأخضر، فعقدوا دورةً شرعيةً أظنها الوحيدة في ردّ عقائد الشيعة، ولكن عقدت بعدما يزيد عن عقد من الزمن من الصمت المطبق!!

(الفتنة بين العقلاء والسفهاء)

من يقصد يا ترى بالعقلاء؟

بالطبع هو ومن معه.

ومن يقصد بالسفهاء؟

بالطبع هم من يجرؤ على مخالفة منهجهم، مهما ارتفع قدره وعلا كعبه!!

وهذا منهج القوم باستمرار، هم أصحاب العلم والنظر والحكمة والرؤية والخبرة.....الخ، وغيرهم سفهاء جهال يفتقدون للتأصيل، أتباع للهوى، تعوزهم العقلانية.....الخ.

وانظروا إلى الإسقاط الآخر في ما ينقله عن شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب (منهاج السنة).

(والفتنة إذا وقعت عجز العقلاء فيها عن دفع السفهاء، فصار الأكابر رضي الله عنهم عاجزين عن كسر الفتنة وكف أهلها)

فهو يجعل نفسه وصحبه من الأكابر، ومن خالفهم من الأصاغر، ودعاة الفتنة؟!!

فهم هكذا يتخيلون دائماً فيما يبدو عندما يقرأون الروايات التاريخية وأقوال العلماء، إنهم يمثلون شخصية الصالح المصلح العقلاني الحكيم وغيرهم بالضد من ذلك!!

ويؤكد ذلك استشهاده بعدها بقوله تعالى:

﴿ أَفَمَن أَتَّبَعَ رِضْوَانُ اللَّهِ كَمَن بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَهُ جَهَنَّمُ وَيُسَّ

[آل عمران]

الْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾

فهم إذن ممن أتبع رضوان الله ومن سواهم باء بسخط من الله!!

أليس هذا من التألي على الله !!؟

ثم وجه الكاتب خطاباً إلى الأمة بصفته (لا أدري)!

فقال:

فيا أيها المسلمون في كل مكان :

هاأنذا قد أوضحت، وبيّنت - ما أرى أن فيه رُشدكم، وصلاحكم-،
((وَنَصَحْتُ لَكُمْ...))

و(أرجو) - جداً- أن لا تكونوا ممن قال الله - تعالى - فيهم: ((..وَلَكِنْ
لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ)) - و ((لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه))

ثم قال بعدها:

[فإنها موجهة إلى سائر بلاد عالمنا الإسلامي الفسيح - كله - سواء
بسواء؛ أملاً ورجاء بالصّلاح، والإصلاح، - دنيا-، والفلاح، والنّجاح - ديناً]

((لا تعليق))!!

قال: هل هذا أو أن هذه الأحاديث؟

وقد ساق تحت هذا العنوان جملة من الأحاديث منها حديث أبي موسى
الأشعري رضي الله عنه الذي جعله على جلد الكتاب والذي أوله (إنَّ بين يدي
الساعة الهرج)

• التعليق:

لم يأت بجديد!

وهذه الأحاديث عامة، وهي تصدق على من خرجوا بالسيف!

مع أن الحديث لم يشر (إلى حاكم ومحكوم)!

إسقاط مشنوم:

قال في الحديث (إنه لتتزع عقول أهل ذلك الزمان)

السؤال: أي زمان هو ذلك الزمان؟! هل هو زماننا؟!

هل أنتم داخلون في عموم الحديث؟!

هل أنتم في جملة (يحسب أكثرهم أنهم على شيء وليسوا على شيء)؟

أم أنكم لا تحسبون أنفسكم على شيء؟!

إنَّ الذين خرجوا في تونس ومصر واليمن وسوريا والأردن، مطالبين بالإصلاح والتغيير لم يقتلوا أحداً، ولم يستخدموا سيفاً، ومن أشهر السيف ولو لم يستخدمه فإنه مخطئ ونحن ننكر عليه، ومن استخدم العنف فهو مخطئ ونحن ننكر عليه، ولكن كم نسبة من استخدم العنف إلى من لم يستخدمه؟!

ألا تعلمون أن النادر لا حكم له! فضلاً أن يجعل الحكم كله على ذلك

النادر !!

(ذمر الإقليمية) و (العنصرية) :

قد أحسن المؤلف صنيعاً عندما تكلم عن هذه القضية وهي أنّ أناساً
ينبشون قبر العنصرية كلما حدث حدث ما!

وأنا أضيف: وكلما ارتفعت أصوات تنادي بالإصلاح اشرأبت أعناق
وارتفعت عقائر تتنادى بحب الوطن، وبالولاء له، وكأن من يطالب بالإصلاح
هو عدو للأوطان، ساعٍ في إفساده!!

وقد ساق المؤلف الآية الكريمة

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُ﴾ [الحجرات]

وحديث (من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه)، ونقل كلام سلمان رضي الله
عنه: (إن الأرض المقدسة لا تقدس أحداً إنما يقدس الإنسان عمله) وقد أحسن
في هذا الفصل، والحق يقال.

وأعقب هنا بجملة واحدة فقط ، فأقول:

إن الذين يستغلون تلك الظروف لإثارة تلك النعرات معروفون!

وهم ليسو أصحاب المناهج الإسلامية قطعاً، لأن أصحاب المنهج
الإسلامي هم أحرص الناس على القضاء على تلك النعرات والعنصريّات، لأن
المنهج الإسلامي يقول لأتباعه

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات]

فمن يرى أن المؤمن في الهند والصومال وفي إفريقيا وفي أمريكا وفي كل مكان، أخ له في الدين يحبه ويواليه وينصره، لا يمكن أن يفصل أخاه المسلم الذي يعيش معه في وطن واحد وفي حي واحد وفي عمارة سكنية واحدة!!
دعوها فأنها منتنة.

السلفية براء من أحداث مدينة الزرقاء

وذكر المؤلف تحت هذا العنوان كلاماً مفادُهُ البراءة من المتطرفين!!

• التعليق:

ونحن نتبرأ كذلك مما حصل جملةً وتفصيلاً، ولا نقول ذلك إرضاءً لأحد، ولا تزلّفاً إلى أحد، ولا مزايدهً على أحد، لأنّ هذا منهجنا الذي ندين الله تعالى به من قبل الأحداث، وبعد الأحداث، وأثناء الأحداث!

نحن ضدّ سفك الدماء وحمل السلاح في الحركات التحرّرية والإصلاحية مهما كان الأمر، ولا نرى مشروعية ذلك، ولا نرى الحكم على رجال الأمن بالكفر ولا نستحلّ دماءهم، فهم إخواننا وفيهم الكثير من الشرفاء وأصحاب المروءات، وفيهم صلاح وعبادة، واستقامة في أنفسهم وأهل بيّتهم، وأنا أعرف منهم من يحفظ القرآن كاملاً، يتلوّه في النهار، ويقوم به في الليل، فهم من الشّعب وفيهم الصّالح والطّالح، ولو لم يكونوا صالحين، فدماؤهم كذلك معصومةٌ.

لكننا نبرأ في الوقت نفسه من كل من استخدم العنف ضد المتظاهرين السلميين، سواء أكانوا من (البلطجية) أو من (رجال الأمن)، فهذا العنف غير مبرر، والأساليب القمعية ليست حضارية وتؤدي إلى سمعة البلد.

وهنا أنتقد (المؤلف) عندما نقل الأحداث من وجهة نظر واحدة، وقال فيما قال - فيما زعموا - !!

ألم تعلم أن بئس مطية الرجل - زعموا - !!؟

وقد ذكر في تلك الفقرة ما يلي:

[ولما كانت أكثر وسائل الإعلام المعاصرة لا تدقق ولا تحقق]

هل هذا وصفك لوسائل الإعلام وظنك بها؟!

إذن لماذا تنقل عنها وتمتدح كتابها الخُصَفاء؟!

ولماذا تعتمد روايتها وتعتبرها مسلمة، وأصحابها ليسوا من أهل

التحقيق والتدقيق؟!

أليس هذا تناقضاً؟!

وتقول - زعموا - فهل هذا يليق.. بأهل التحقيق والتدقيق؟!

الخاتمة

لا شك أن ما ورد في رسالتي هذه لن يعجب الجميع، وكل من الطرفين اللذين انتقدتهما واعتقدت أنهما جانبا الحكمة سيكون له اعتراضات وتاويلات متوقعة، وقد بلغني بعد درسي الأول عن بعض إخواننا أنه لم يرق له كل ما ذكرته، واعتبرني متساهلاً مع المخالفين من الفريق الثاني !

ولذا فإنه يجدر بي في الخاتمة أن أذكر بآني ومنذ زمن ليس بالقصير وأنا ألقى الدروس المختلفة وفي دورات علمية، وكنت طوال هذه الفترة ملتزماً ما أعتقد أنه الحق والصواب والوسط، فلم يكن همي في يوم من الأيام أن أتحدث بما يطلبه الجمهور مما يناسب أمزجتهم، ولم أحابي أحداً كبيراً كان أم صغيراً، قريباً كان أم بعيداً، فإن هذا الأمر دينٌ سوف يُسأل عنه، فلا يحملنا مخالفتنا لأشخاص معينين على ألا نوافقهم في الحق الذي معهم، وهو موضع اتفاق بيننا ! ولا ينبغي أن يحملنا حبنا لطرف آخر لما لديهم من صدقٍ وحماس ومحبة للدين على أن نغض الطرف عن أخطاءٍ جرّت عليهم وعلى الأمة الويلات تلو الويلات، فلسنا مزاجيين ولا انتقائيين ولا مجاملين على حساب الدين، ولن نكون كذلك، وليرض من يرضى وليسخط من يسخط .

نعم، قد فستففد من كلامف أناسف فوظفونف كما فشاءون وفأأولونف كما فرفدون، ففها شأنهم، أما شأننا فأن نقول ما نرفن الله فعالف به دون محابة لأفء؁ والله الموففؑ.

وأفر فعاونانا أن الحمد لله رب العالمفنؑ.

جمال بن محمد الباسا

5 محافف الأفرء 1432

8 آباف 2011

مأورالاش الكأاب

المأمة	5
أههه	13
فما هه الأكمأة؟	13
عصر أنألاب المأازن	14
فضل الأكمأة	16
أور من أكمة النبه صلل الله عله وسلم	27
[صلأ الأأههه] وءروس ف الأكمأة	38
كهف أأأسب الأكمأة؟	45
أكمة بهانه	48
من المسأفه ما أء ف الزرقاء؟	49
[اللبأس الأفغانه]..... وءلاأئه !!	51
الرسالة الأانه: وهه للفره الأاه	53
[أأاءه الفأ] إسأاأأ أائرة وأأوألاأ أائرة !!	55
الأأاء الأاره أأله أاأل ف (اللاوعه)!	58
أاعون وأأله	63

63	صور أخرى للتقليد
65	الشعوب تُقلد من؟
65	تشويز وتمييز للشر!
67	أمريكا والغرب وراء ما يجري!
68	من (فقه الواقع) الشرعي
70	الهرولة مرةً أخرى إلى (الصحف الرسمية الحكومية)!
74	حرمة دم المسلم
81	مغالطة و قياس مع الفارق
83	الشباب و ثورتهم
84	[من مفاسد المظاهرات]
85	فزاعةُ ذهاب الأمن والاستقرار
86	من أصول الفقه والنظر
91	فتاوى الأئمة في تحريم المظاهرات
92	سؤال مُحرج، وحوار منتج:
97	(قاعدة "سدُّ الذرائع")
101	إسقاطُ جائزٍ على الواقع مرةً أخرى!!
105	المزيدُ من الإسقاطات!!
106	حدود الطاعة وضوابطها:

المحكمة الباقية في الأسماء التجارية بمحاورة هاجرة = 143

107	نصيحة من القلب
109	تكامل لا تأكل
111	لا للاستغلال القبيح
113	هبة الدولة وآثارها
115	نحن (مع) و (ضد)!
120	واجب الوقت
121	وصية إمام
122	النصر السريع (!) كيف!
127	تغير الأفكار وتغير الأنظار
129	لا لـ (تسييس الدعوة) ولكن
131	(الفتنة بين العقلاء والسفهاء)
134	إسقاط مشنوم
135	(الاقليمية) و (العنصرية)
136	السلفية براءً من أحداث مدينة الزرقاء
138	الخاتمة
140	محتويات الكتاب